

الدكتور
عبد الحلیم محمود

سُلطان العارفين
أبو يزيد البسطامي

٢٦١ هجرية

الطبعة الثانية



مقدمة

منه سبحانه نستمد الهداية، وإلى رحمته نلجأ ضارعين أن يدخلنا سبحانه
في عباده الصالحين، وأن يدخلنا برحمته مدخل صدق، وأن يخرجنا مخرج
صدق، وأن يجعل لنا من لدنه تعالى سلطاناً نصيراً، يا حي يا قيوم برحمتك
نستغيت، عسى أن تجبر بها نقصنا وقصورنا، وبرحمتك نستغيت، عسى أن
تدرأ بها الأذى عنا، وبرحمتك نستغيت في وجه كل جبار أو ظالم أو شيطان
مريد، وبرحمتك نستغيت نرجو أن تنال بها من كل خير سألكه نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم، وبرحمتك نستغيت من كل شر صرفته برحمتك عن
أوليائك وأصفيائك.

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد حمداً طيباً طاهراً كثيراً مباركاً
فيه كما تحب ربنا وترضى، يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم
سلطانك، سبحان الله ومحمده، عدد خلقه، ورضاه نفسه، ووزنة عرشه،
ومداد كلماته، الحمد لله على كل حال.

وأشهد أن لا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوراً أحداً، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد،
وهو على كل شيء قدير.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وكن بنا
الزومين وهوذا رحمياً.

اللهم إنا نسألك بك أن تصل رسولنا محمد وعلى سائر
آلينا والرسولين وعلى أئم وصحبتهم أجمعين وأن تنفركنا ما مضى
بخطئنا فيما بقى.

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجيها بها من جميع الأحوال والآفات،
وتقضى لنا بها جميع الحاجات، وتظهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها
إلى أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى النيات من جميع الخيرات في الحياة
وبعد السمات.

اللهم إني أوجه إليك بيبك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة أن
ترحمي علي رحمة تنفي بها عن رحمة من سواك.

يا سيدنا محمد إني أوجه إلى ربك أن يرحمني بما في رحمة تفيض
بها عن رحمة من سواه... اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ومن اتبع هدبه إلى يوم الدين؛ وبعد؛

فإن الحضارة الأوربية الحديثة قامت - في جانبها المادي - على أساس
من اللامحظة والتجربة، وعلى النهج الاستقرائي، وهو نهج تعدده المادة،
ويحدد نفسه بها.

وقامت الحضارة الحديثة في جانبها المنفرد على أساس من العقل

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم
إني أعهد إليك هذه الحياة الدنيا أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت ومداد
لا يبريك لك، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك فلا تكلم
من نفس طرفة عين، إنك أن تكلمني إلى نفسي تقريني من الشر وتبذل
من الخير، فإن لا أتق إلا برحمتك فأجعل لي عندك عهداً توذبه إلى بر.
حياة إنك لا تخلف العباد.

أشهد أن لا إله إلا أنت مالك الملك توفى الملك من تشاء وتنزع الملك
من تشاء وترزق من تشاء وتقل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء
قدير.

أشهد أن لا إله إلا الله يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور،
أشهد أن لا إله إلا الله يعلم السر وأخفى، أشهد أن لا إله إلا الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله نستغفرك وتتوب إليه؛ وهو التواب الرحيم،
وتدعوه؛ وهو البر الرحيم، ونستهديه؛ وهو المادي، ونستكفيه؛ وهو
السميع العليم، ونستعصم؛ وهو العزيز الحكيم وارجوه سبحانه أن يعي لنا
من أمرنا رشداً.

وأصل وأسلم على خير الأنبياء والرسولين، اللهم صل على سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وولانا محمد
عبدك عند خلقك ورضاه نفسك وربة عرشك ومداد كلماتك.

الذي يختلف باختلاف الأشخاص، ويتفاوت بسبب
سبب البيئة، والبيئة الخاصة، ومنها الوراثة، ومنها التيار الثقافي
والاجتماعي، ومنها أخرى كثيرة.

أما نحن... نوحى فإن الحضارة الحديثة لم تعره التفاتاً.
والوحى... الله إلى البشر - إنما كان لتنظيم أمور الناس
اجتماعية

إن الله... حنزون وتعارضون ويتناقضون في كل ما يتصل بالمجتمع
من ناحية... لإنسان بره، وصلته بأسرته، وصلته بمجتمعه. وغرائز
إنسان... تنسم بالإفراط في حب الملكية وفي حب السيطرة
والاستعلاء... مع عن ذلك التنازع الذي لا يستقيم معه أمن، ولا يتأتى في
حيوه طمأنينة

ونزلت... بيانا لعلاقات الفرد بالنسبة لغيره، فوضعت العقيدة:
«صلة الإنسان بالله»، ووضعت التشريع: صلة الإنسان بالمجتمع،
ووضعت الاخلاق: تزكية النفس وإخلاص العمل لله وحده.

أعرضت... حضارة الحديثة عن هذا الجانب، واندفعت في كشف قوانين
المادة للاستعلاء والتغلب، واندفعت في تشجيع الفرد على أن يجعل رأيه في
الجانب المعنى، محل قوانين الله في المجتمع... وشقيت الإنسانية شقاء
لا حد له من جراء الإعراض عن التوجيهات في شتى مجالات النواحي
الاجتماعية... أو أخلاقاً، أو تشريعاً.

وكان لابد من أن ينشط المؤمنون الصادقون في طريق الدعوة إلى الله.
وأن يضاعفوا الجهد في هداية الإنسانية إلى الإيمان وما يتضمنه من فضائل
ما ينتج عنه من أمن للناس على دمائهم وأموالهم، وأعراضهم.

وصور الدعوة إلى الإيمان تتنوع وتعدد، فمنها:
١ - الدعوة مثلاً عن طريق إيضاح موضوع الرسالة الذي يتنوع هو
الآخر وتعدد، فيكون بياناً للقرآن الكريم، أو شرحاً للأحاديث النبوية
الشريفة.

٢ - ومنها الدعوة عن طريق الكتابة في سيرة الرسول صلى الله عليه
وسلم، وهو - صلوات الله عليه وسلامه - المثل الكامل لتطبيق الرسالة
وأخراجها إلى الواقع كما أحب الله سبحانه وتعالى لها.

٣ - ومنها: الكتابة عن الشخصيات التي سارت في طريق الله تعالى
ملتزمة شريعته سبحانه.

ونحن - والحمد لله - قد كتبنا في كل هذه الموضوعات، متكاتفين في
ذلك مع هؤلاء الذين يسهرون على نفس الطريق أمثال العالم التقى الشيخ
أبو الحسن الندوي.

وهذا الكتاب حلقة في هذا السبيل.

إنه عن شخصية عظيمة، وككل الشخصيات العظيمة اختلف فيه
الناس، وتباينت آراؤهم.

بعد أردنا من هذا الحب بيان أمرين:

١ - شرح المثل الكريم - فضائل النفيسة التي كانت شعار هذا الرجل العظيم، والتي استمدت من القرآن والسنة وإن في معرفتها هداية وإرشاداً لمن يتلمسون الطريق في صورة من صوره الصادقة ممثلاً في شخصية أحببت الله حباً سراً عليها السمع والبصر والكيان كله. وكان هذا الحب نتيجة حب في سبيل الله متواصل في كل ميادين الجهاد!

الجهاد في العبادة، والجهاد - سيف، والجهاد في المجتمع، والجهاد عن طريق القدوة.

وكانت ثمرة هذا الحب جهاداً مستمراً متواصلًا في جميع ميادين الجهاد أيضاً.

لقد كانت مقدمات الحب عند الجهاد، وكانت ثمرة الحب عنده الجهاد فهو صورة إسلامية إيجابية صادقة.

٢ - والأمر الثاني الذي كان من أهداف هذا الكتاب هو بيان الحقيقة عن هذه الشخصية في واقعها الصادق.

واقه أسأل أن يهدي له. وأن يهدي يد. وأن يجعله في ميزان حسناتنا. إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

عبد الحلیم محمود

الفصل الأول

حياة أبي يزيد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين. وبعد:

فإن أبا يزيد في حديث له عن فضل الله عليه وعنايته به سبحانه يختم الحديث بقوله:

«فالعناية من الأزل»

ونسب أن تبدأ الحديث عن عناية الله بأبي يزيد بالحديث عن والديه: لقد كان أبوه رجلاً صالحاً يتحرى مرضاة الله في جميع شئونه، لقد كان الورع من صفاته البارزة فكان يتحرى الحلال في مطعمه وملبسه وشرايه ومسكنه.

وكان في قلبه وبين عينه دائماً أحاديث جميلة من أحاديث رسول الله

أمر الله عليه وسلم في مجال الورع منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المسلمين، فقال:

﴿يَأْتِيَا الرِّسْلَ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾
وقال: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأني يستجاب لذلك» رواه مسلم والترمذي..

ومنها:

عن ابن عباس رضي الله عنها قال:

تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿يَأْتِيَا النَّاسَ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾^(١).

فقام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن

(١) البقرة: ١٦٨

يجعلني مستجاب الدعوة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

ياسعد، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقتذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً، وأما عبد نيت لحمه من سحت فالنار أولى به» رواه الطبراني في الصغير..

نشأ هذا الوالد على الورع، وشب على التقوى، وكيف حياته منذ البداية على قواعد الدين، وحينما أحب أن يتزوج كان الحديث الشريف الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاب الزواج شعاره الذي نشب به، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«تنكح المرأة لأربع: لما لها ولحسبها ولجمالها ولدنياها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه البخاري وغيره..

واختار فتاة يصفها المؤرخون حينما يتحدثون عن أبي يزيد فيقولون:

وكانت أمه في قيد الأحياء أما غريبت في النساء، مع الضياء والبهاء، والستر والحياء، والتواضع والدعاء، والخوف والرجاء زاهدة عابدة، صائمة قائمة، عفيفة شريفة، راضية مرضية.

ومع أنها - رضي الله عنها - كانت على هذه الصفة من التقوى فإن المؤرخين يذكرون أن عيسى والد أبي يزيد رحمه الله لما تزوج بأمه وزفها لم يباشرها ولباسها أربعين ليلة حتى علم أن لم يبق في جوفها أثر ما أكلته من قبل، وتناولته فيها غير من الأيام التي كانت في بيته والدها، ثم لما باشرها ظهر من أولاده مثل أبي يزيد رحمه الله.

ومررت هذه الأم ذات أثر كبير على أبي يزيد وهو يتحدث عنها
كثيراً في إحلال وإكبار شأن هؤلاء الصالحين الذين قرع أسماعهم وملا
لوبهم قول الله تعالى:

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ (١)

ولقد نقل هذا الإحسان في أبي يزيد: في قوله، وفي فعله بالنسبة
لوالديه..

إنه يتحدث عن مدى صلاح والدته، فيروي أنها كانت تتحرى الحلال
في مأكليها ومشربها، وقد أعانها الله على ذلك، فكانت إذا قدم لها طعام من
حلال امتدت يدها إليه، أما إذا قدم لها طعام فيه شبهة امتنعت يدها عن
تناوله، يقول أبو يزيد:

وكانت أمي لما حملت بي إذا قدم لها طعام حلال امتدت يدها إليه، أو
حرام انقبضت..

ثم يختم بقوله: فالعناية من الأزل..

ولكن أبا يزيد يعمم الأمر في رواية أخرى، ويجعل هذه الظاهرة
ملازمة.. وهذه ظاهرة وجدها كثير من الصالحين عناية من الله بهم: لقد
وجدنا الجنيد رضي الله عنه، ووجدنا الحارث المحاسبي رضي الله عنه،

(١) الإسراء: ٢٣

ووجدنا أبو العباس المرسى رضي الله عنه، ووجدنا آخرون كثيرون.
كان أبو يزيد باراً بأمه، وكان يحاسب نفسه على إخلاصها في بره بأمه،
ويروي في ذلك القصة التالية:

قال: كنت أظن في برى لأمي أني لا أقوم لهوى نفسي، بل لتعظيم
الشرع حيث أمر ببرها، فكانت أجد في نفسي لذة عظيمة أتخيل أنها من
تعظيم الحق عندي لا من موافقة نفسي، فقالت لي في ليلة باردة: استقي،
فتنقل على رقمت بمجاهدة، وجنتها يكون، فوجدتها نامت، فوقفت به حتى
انتهت، فتناولتها وقد بقي في أذن الكوز قطعة من جلد أصبغى لشدة البرد
القرضت، فرجعت إلى نفسي فقلت لها: حبط عملك لكونك كنت تدعين
النشاط في عبادتك، ورأيتك تتناقلت عن ذلك، فعلمت أن كل ما نشطت
فيه من عمل البر وفعله لا عن كسل وتناقل، بل لذة، فإنما هو لهواك
لا لله..

وأخلص أبو يزيد في بره بأمه، ولعل فيروضات الله على أبي يزيد يرجع
الكثير من عواملها لبره بأمه، فإن الجنة جنة الدنيا، وجنة الآخرة، وجنة
المعرفة، وحنة السعادة تحت أقدام الأمهات ونرجو أن يتأمل كل إنسان
الآيات الكريمة التالية من سورة الأحقاف:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا،
وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا،

برضاء وأصلح لي في قلوبهم أني تبت إليك وإني من المسلمين. أولئك الذين
سئل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة. وعد
الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن
أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد
الله حق. فيقول ما هذا إلا أسطير الأولين.. أولئك الذين حق عليهم
القول في أسم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين..
ولكل درجات بما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون^(١).

وإن من الأحاديث النفيسة حديث الاستشفاع الذي يذكر أوثاناً
يستشفع بها إلى الله في أوقات الكرب، ومنها ما يقوله الرسول صلى الله عليه
وسلم فيها رواه البخاري وغيره: «بيننا ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذا
أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله
يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصلح فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق
فيه... فقال الآخر:

اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أتيتها كل
ليلة ملين غتم لي فأبطأت عليها ليلة، فنجت وقد رقدا وأهل وعيالي
يتضاغون من الجوع، وكنت لا أستقيهم حتى يشرب أبواي، فكهرت أن
أوقفها وكهرت أن أدعها فمستكننا لشربتها، فلم أزل أنتظر حتى طلع

(١) الأحقاف: ٦٥-٦٩

الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانسأحت
عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء».

ومع كل ما بلغتته هذه السيدة الفاضلة من التقوى فإن الكمال لله وحده.
وقد هفت والدة أبي يزيد هفتين:

يقول محمد بن علي الواعظ: وفيها أفادني بعض شيوخ الصوفية حاكياً
عن الجنيد بن محمد أنه قال: حكى لي أبو موسى عيسى بن آدم البسطامي
- ابن أخ أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي بالفارسية فترجمتها
بالعربية، قال أبو موسى:

كان بدء أبي يزيد وتوبته من رحم أمه وصلب أبيه، كان صبياً ابن أقل
من عشرة، إذ نبهه الله تعالى لأمره، وألهمه حكمة العمل فائدة من عنده
من غير تعليم، فقال أياماً لوالدته:

يا والدتي، أقسم عليك هل تناولت شيئاً من الحرام بسببي أيام كنت
ترضعيني، فإني لا آمن أن يكون قد وصل إلى شيء من قلبي وأنا لا أعلم
فيحجيني ذلك عن ربي..

فقالت أمه: لا أذكر إلا أني دخلت يوماً إلى بعض جيراننا وأنت في
حجري، فأخذت قارورة دهنهم فدهنت رأسك ولم أعلمهم، و يوماً آخر
كحللتك بكحلهم ولم أستأذنيهم..

فقال له أبو زيد: إن الله يحاسب عياده على مثقال ذرة، ثم قال: ألا

تري إلى قوله عز وجل: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(١).. وهذا أعظم من ذرة، فأخشى أن يقطعني عن ربي، ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم، فاستعمل منهم لنفسه ولأمه.. ولا يبل أبو يزيد الحديث عن أمه، إنه يذكر شأنه معها في المخالفة كما يذكر شأنه معها في الطاعة، إنه يقول:

خالفت أمي مرتين، فأصابتني المضرة كل مرة: مرة لي بأن ألقى الشبح من السطح إلى أسفل الدار فكنت أرميها، فقالت: أمسك فقدمت فرميت قطعة منها، فأردت أن أدركها طاعة لها، وامتنالا لأمرها، فسقطت من السطح وانقرح أنفي، فكنت أرى ذلك القرع من خلاق لها، وتركى أمرها.. ومرة أمرتني بالاستسقاء وقالت: احمل جرة، فحملت جرتين، فلما برزت جاء سكران وضربني وكسر جرتي. فرأيت ذلك من خلاق أمرها.

وتروى هذه القصة أيضاً بالصورة الثالثة، والصورتان يكمل بعضهما بعضاً: يروى المؤرخون أن أم أبي يزيد قالت له ليلة من الليالي: اسقني، فخرج في طلب الماء ليستقيها، فلما رجع رآها نائمة، فأمسك الكوز في يده حتى انتهت، فلما انتهت قالت: يا أبا يزيد، أين الماء؟ قال: ها هي فأخذت الكوز من يده وقد علقه من إصبعه فجمد عليه من شدة البرد، فبقى بعض جلد الإصبع على عروة الكوز، فلما رأت ذلك وسألته عنه

(١) الزلزلة: ٧، ٨

أخبرها بذلك، وقال: هو جلد إصبعي «قلت في نفسي: إن وضعت الكوز ونمت فلعلك تريدين الماء فلم تريه، وما أمرتني بوضعه، فأمسكته ابتغاء مرضاتك والقيام بأمرك، فقالت له: رضى الله عنك..

فلما إن أبا يزيد كان لأمه عليه أثر فعال، ومن ذلك أنها رأت اضطرابه وانزعاجه يوماً ما، فقالت له: اسكن، فسكن عما كان فيه..

وقال رحمه الله: سكتني إشارتها، وسددتني عن الاغتراب، وسكت وسكن عن ذلك الاضطراب..

ويذكر أبو يزيد فضل أمه عليه، لقد قيل له مرة: هم بلغت ما بلغت؟ قال: أنتم تقولون ماتقولون، وإنما أرى ذلك من رضا الأم.. وفي جو الصلاح والتقوى هذا نشأ أبو يزيد..

أما عن حياة أبي يزيد في بواكيرها الأولى فإننا لا نكاد نعلم عنها شيئاً، ولكن فطاته ونباهته وعبادته كانت واضحة للجميع، وقد رأى شقيق البلخي ذلك بيننا حينما مر ببسطام.

مروى المؤرخون أن شقيقاً البلخي اجتاز ببسطام حاجباً، ففتقد المجلس في مسجد من مساجدها في محلة يقال لها كدغان، وكان ذلك المسجد في تلك الأيام جامعاً، فالصبية يلعبون على بابه وأبو يزيد فيهم، فكان يجيء باب المسجد ويسمع كلامه ويتصرف ويضعلك، فوقع عليه بصر شقيق، فقال فراسة: سيكون هذا الصبي رجلاً من الرجال، فصار كما قال.

ومن أصله نجابته في طفولته ما رواه موسى بن عيسى البسطامي قال: سمعت أبي يقول:

قال رجل من أهل الحديث لأبي يزيد، وأبو يزيد رضى الله عنه صلى:

يا غلام، يحسن أن تصلى؟

فقال: نعم، إن شاء الله.

فقال له: كيف تصلى؟

قال: أكبر بالتلبية، وأقرأ بالترتيل، وأركع بالتعظيم، وأسجد بالتواضع، وأسلم بالتودع..

فقال: يا غلام، إذا كان لك هذا الفهم والفضل والمعرفة فلم تدع الناس يتمسحون بك؟

قال أبو يزيد: ليس بي يتمسحون، لكن يتمسحون بحلقة حلانيتها ربي، فكيف أمنعهم من ذلك، وذلك لغيري..

ومع كل ما يلفه أبو يزيد من الاستفراق في الألوهية فإنه لم يسر في حياته مرة الرحبان، ولكنه كان يعيش فيها على سنتن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يتمثل له قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حبيب إلى من دنياكم: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة».

والحديث الشريف يعني أنه صلى الله عليه وسلم يؤثر الصلاة إشاراً بلغ

درجة أن يكون قرة العين.

والحديث الشريف يعني أيضاً: أنه مهما بلغت منزلة النساء والطيب فإن الصلاة هي اللذة والسعادة.

وينتهي معنى الحديث إلى إشار الآخرة بمثلة في الصلاة على الدنيا بمثلة في النساء والطيب.

والمعنى في النهاية أيضاً هو ما ترشد إليه الآية القرآنية الكريمة:

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾^(١) أى

أن الابتغاء والهدى مما منح الله: إنما هو الآخرة، أما الدنيا فإنها عند طلاب

الآخرة في عالم النسيان، فيذكروهم الله سبحانه يأخذ نصيبهم منها حتى

لا يضعفوا عن القيام بحقوقه، وعن أداء واجباته في أنفسهم، وفي مجتمعهم.

والآية الكريمة ترشد في جوها إلى الأخذ من الدنيا بالضرورة منها.

وهذا هو معنى الآية الشريفة، وهو معنى الحديث الشريف والله سبحانه

حين قال:

﴿وابتغ فما آتاك الله الدار الآخرة﴾.

أطلق الأمر إطلاقاً، ثم استثنى منه قدرًا ضئيلاً:

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

(١) سورة القصص: آية ٧٧.

• ريد على هذا النهج، وكان يتصل أيضًا هؤلاء الثلاثة الذين
• • • • • أرواح النبي صلى الله عليه وسلم، يسبون عن عباده
النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروا وكانهم نقلوها، فقالوا: وأين نحن من
نبي الله عليه وسلم، قد عرفنا ما يقدم من دية وما نُحرِّق؟

قال حدهم: أما أنا، فأنا أصلي الليل أدًا

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟

أما والله إن لأخساكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي،
وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني^(١)!

ولقد ستل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية فقال:

لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله

لقد تزوج أبو يزيد، ويبدو أن امرأته كانت تقدره وتحترمه وكانت تروي
بعض أموره للآخرين، من ذلك، مروياتها التالية:

(١) أخرجه الإمام أحمد والحكيم الترمذي والبيهقي.

قالت: سمعت أبا يزيد يقول:

«عاجلت كل شيء فها عاجلت أصعب من معاملة نفسي، وما شيء
هون علي منها».

وقالت: سمعت أبا يزيد يقول:

«دعوت نفسي إلى الله، فأبت علي، واستصعبت فتركتها ومضيت إلى
ف».

وكان لأبي يزيد خادمة تأثرت به تأثرًا شديدًا، واقتدت به في سلوكه إلى
الله تعالى، يدل على ذلك ما يلي:

عن الجعيد قال: بلغني عن بعض العلماء ببسطام أنه قال

كان لأبي يزيد خادمة كثيرة الاجتهاد والبهاء، لا تنام الليل، فكانت
ذات ليلة نامت فرأت في منامها رب العزة كأنه يقول: الناس كأهم
مطلبون غيري، ما خلا أبا يزيد فإنه طلبني.

وسمعت من بعض الناس هذه الحكاية أنها قالت - إذا سمعت نداء
الناس: كلهم عبيدي غير أبي يزيد، فإنه ولي من أوليائي، لأن كل أحد
طلب مني شيئًا، ورجع بشيء غير أبي يزيد فإنه طلبني!

وكان لأبي يزيد مسجد، وله مؤذن خاص، ولقد تأثر هذا المؤذن أيضًا
بأبي يزيد، وروى عنه، ومن ذلك:

مرسوم سوري هلاك الخلق في شيبين

رش حرمة، وسيد الله

و يرى معنياً بيده، وكان لهذا البيت شهرة خاصة بين أقبانيه
- حين، وكان هذا البيت يسمى بيت الأسرار، يقول بعض أقبانيه
مرتبوا لا يسكتونه احتراماً واحتشاماً، ولكن يترددون إليه في
الصلاة فيصلون فيه

في الدار التي كان فيها البيت الذي وقع ولادته فيه رجل من
كان يقال له: معلم زريكوان، فعكوا عنه أن أعرابياً نزل عليه في
انت فقام به

سريت شيئاً محرماً فلا بدحده، فإنه بيت الأبرار وموضع الأحبار
سيتاً لا يطيبه.

فمن قضاء الله تعالى أنه رجع إليه ليلة سكران يبات فيه، فلما
أى نفسه عرياناً، وما كان عليه من الثياب، وما في البيت من
نلها محرمة، فلما أصبح نادى المعلم ودعا بإزار تمر به، وأمر بما
تابه، وانتقل من تلك الدار إلى غيرها خوفاً مما أصابه من العذاب
ورأى من الآيات والكرامات، وكان أبو يزيد يحب الإقامة ببلده
وما كان يحب السفر. اللهم إلا إلى الحج، ومن طرف ما يروى
ما يرويه وهو، قال:

قال لي رجل: مالك لا تسافر؟

قال: لأن صاحبي لا يسافر، وأنا معه مقيم..!

فعارضه السائل بمثل فقال:

إن الماء القائم قد كره الوضوء منه!

فقال: لم يروا بقاء البحر بأشأ، هو الطهور ماؤه، الحل ميتته ثم قال: قد
برى الأنهار تجري لها دوى وحرير، حتى إذا دنت من لبحر وامتزحت به
سكن خريرها وجدتها ولم يحس بها ماء البحر، ولا ظهر فيه ريادة، ولا إن
خرجت منه ستيان نقصه.

ولم يفهم أبو يزيد أمر الرهد فهت مترت، إنه لم يلبس الخشن ويأكل
لحشن، ومن طريق ما يروى في ذلك ما ذكره أبو عبد الله الدستاني
قال:

إن أبا يزيد أمر بعض تلامذته أن يشتري له الخبز فشرى، فلما رآه
وحده محاشاً فأمره برده على صاحبه وقال: كأهم يقوون إهم مقربون
يأكلون كريمة يكون، وأمره أن يأخذ الأخود والأصص!

وسار أبو يزيد في حياته على نسق سوي، وكان كل هم أن يصل إلى
المعرفة عن طريق القرب من الله، فلما وصل إليها تكلم بها ولقت بسطان
العارفين، ولكنه حينها تكلم في علوم الحقائق كان الوسط لدى بعض من
أقل مستوى من أن يفهم كلامه، فقال أبو يزيد:

يوم مثل كبار الصالحين في كل وقت من أذى السعفاء، والله سبحانه
عز وجل عن أنبيائه وهم أصفى الناس لله:

«ذلك حملنا لكل نبي عدوا من المجرمين»^(١١)

أعداء الأولياء:

قال أبو يزيد: ما من عبد اصطفه الله لنفسه، وشغله بذكره وحمده عن
مخالفة، وجعل له محادثة بقلبه، إلا سلط عليه فرعون على كل من ذلك
بتكره ويؤديه.

يعول مؤرخو أبي يزيد:

«ولما تكلم في علوم الحقائق لم يفهم أهل عصره كلامه فرموه بالعظائم،
وعوه من بلدهم سبع مرات، وهم في كل مرة يحتل أمرهم ويرمل لهم البلاء
حين دعوا له وأجمعوا على تعظيمه، ولكن هذه المحنة ما كانت تهزع أهل
الله ولا تروعهم، ومن طرف شعورهم في مواجهتها ما ذكره الشيخ
أبو عبد الله يقول

سعى عن تلك المحلة فانتقل إلى محلة «واقدان» ولا يهولك عن حكايته
ذلك، وأنه لم يصبه الأولياء، وبلاء الأصفياء أقل شيء يذكر ولا يسكر.

ولم يمت ذلك في عهد أبي يزيد، بل استمر في حياته داعياً إلى الله بقوله
وحاله وسلوكه.

(١١) القرآن. ٢٦

وكتب دعونه إلى الله بخاله مصلح الجاذبية الكبرى في - بره
لا يحده إلى الله عن طريق العودة إليه، وكان كذلك هو - القدر

بحره

سول مؤرخون لحياته.

لما كان في الليلة التي ودع فيها روحه حصر المؤر - وسنه مع مجرح
مدى اليأس فلم يجب - إلى أربع مرات - فصاح به ردى - يريد؟

د - ولم يكن قط يسميه باسمه احتراماً له واحسباً سوا - يدك الليلة.
فهم تمنى أنه عبر بامر علم أنه إنما يتبع عن الخروج بسد - ففتح الباب
فوجدته خارجاً عن الدنيا ويقولون:

لم يكن لأحد علم بوفاته في يريد إلا أنه كان - من تلاميذه -
وحد يعد له. عبد الله بونابادي (رستاقوي) قرنه بمر - ميلد - جاء
بريانه أرد أن يصرف إلى فريته فاستأذن عن الخروج - يدل له لا تمس
حتى صلى الحسرة. ولم يكن يعلم الرجس ما تلك بحارة - أنه علم صدق
بقوله معم يستحيره عنهما. حرمة، فلما أصبح كانت الممازة جنازة نفس
في يريد رضى الله عنه

ويتولون

مات سنة إحدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة. وقد أفردت
ترجمته بتصانيف حافلة.

الفصل الثاني

أبو يزيد والعلم

كيف سارت به الحياة الروحية؟

إتنا في هذا سنتبع خطأ رسمه أبو يزيد لحياته الروحية في سيرها إلى الله، حتى وصلت إلى الوسيلة التي توصل إلى الله تعالى في صورة ميسرة، وبإدام خط سيره الروحي قد رسمه هو فإنه من الطبيعي أن نلتمه وأن نقف عند كل مرحلة منه وفعه قد تكون طويلة وقد تكون قصيرة، وذلك بحسب ما لدينا من نصوص عن كل مرحلة.

وبدأ أبو يزيد - في سيره إلى الله - بالعلم، يقول أبو يحيى العربي السطامي:

كان مشايخ ناحية بسطام من أصحاب أبي يزيد يحدثون عنه أنه كان يقول:

« كان ابتداء أمرى أن أقامى الحق تعالى على أبو ب العلماء، وصحية

المسمر دهرًا طويلًا، فلما استكثرت من أنواع العلوم جعلت نفسي تجدثني
أنا قد عشت وعرفت، والعالم والعارف في أعلى المراتب، فأسرف في الحق
مأى حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين، فلم أر لنفسى معهم موضع قدم،
بتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق. فقلت: العلم والمعرفة من غير
حقيقة حجة، وكان عدى أن الحقيقة في العلم والاجتهاد

العلم في الجو الإسلامى:

لقد بدأ الوحي، بدأ الجو الإسلامى كله، «بقراءة».. أى بدأ بالعلم.
والعلم له منزلة الكبرى في الإسلام، منزلة لا يوجد ما يماثلها أو يضارعها
في الآداب العالمية، سواء كانت شرقية أو غربية أو يابانية أو أمريكية..
لا يوجد بالنسبة للعلم إشادة به كما يوجد في الإسلام.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من سلك طريقًا يتقى فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن
الجنة لنتح أحسنها طالب العلم رصًا لما يصنع، وإن العالم يستغفر له
من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على
العالم كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن
الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ
وغيره»

العلماء ورثة الأنبياء، ولن نجد مطلقًا في المجتمعات منها اختلفت طائفة

من الناس تسمو على ورثة الأنبياء، وعلى خلفاء الأنبياء.

إن العلماء في مجالات العلم المختلفة: في طبقات الأرض، في أجواء
السماء وفي الفضاء، العلماء المؤمنون: في الحديث، في العقيدة في التفسير، في
كل جانب من جوانب الكون - العلماء هم ورثة الأنبياء، وهذه الوراثة
لا يضارعها في المجتمع أية وظيفة أخرى.

وأشاد الله سبحانه وتعالى بالعلماء، ووصل بهم إلى الذروة الإيمانية، يقول
الله سبحانه:

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾

فقرنهم مع سبحانه وتعالى في شهادة التوحيد، في أشهد أن لا إله
إلا الله.

إن الله سبحانه وتعالى لم يقرن طائفة من الطوائف به ويملائكته
إلا العلماء، وفي شهادة التوحيد قمة الإيمان، خوة الإيمان.. فذروة الإيمان
وقمته إنما هي التوحيد، إنما هي أشهد أن لا إله إلا الله.. من الذى شهد
مع الله مع ملائكته؟ إنهم العلماء

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وهذه
الآية ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ جاءت في معرض الحديث عن
لكون، عن الطبيعة، عن الجبال، عن الفرايب السود، عن هذا الكون في

نعمه تدبّر. جاءت هذه الآية تصف الكون في طبيعته المادية، ثم تقول:
﴿إِنَّمَا نَحْنُ آفَاقُهُ مِنْ عِبَادَةِ الْعُلَمَاءِ﴾.

في حقيقة الأمر أنك لا تكاد تجد عالم التشريح في مجاله حينما يرى هذه الدقة الدقيقة، هذا الإبداع المبدع هذا النظام الدقيق هذا الإحكام في الجسم الإنساني وفي الجسم الحيواني، لا يرى ذلك إلا ويخرقه ساجدًا على هذا الإبداع المتقن، وعلى هذا الإحكام المحكم في التكوين الإنساني، وفي الجسم الحيواني أو النباتي، ولا تجد عالمًا من علماء الفلك حينما يرى هذه السعة الشاسعة في الكون وهذه الآلاف والملايين من الكواكب والنجوم وكلها تسير في أفلاكها بدقة:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١).

حينما يرى ذلك، حينما يرى أحد هذه الدقة في المسير وهذا النظام المحكم في هذه السعة، وفي هذه الآلاف والملايين من الكواكب والنجوم، حينما يرى ذلك يخرقه ساجدًا.

العلماء المؤمنون، وهم الذين يشهدون التوحيد مع الله ومع ملائكته، هم أشد خشية لله لأنهم أعرف الناس بالله، وأعرف الناس بأنه هم أشدهم خشية له سبحانه.

(١) يس: ٤٠

واطلق الإسلام حاشاً على العلم، مؤيداً للعلم، محباً للعلم، مادحاً للعلم
واطلق المسلمون استجابة لله سبحانه وتعالى ودعوة رسوله انطلقوا في
جميع أرجاء العالم باحثين منقبين، كاشفين عن قوانين الله في كونه، وعن
سنن الله الكونية، وعن سنن الله في المجتمعات، عن كل هذه الأمور التي
يجب على الإنسان في صلته بالكون، وفي صلته بالآخرين، يجب عليه أن
يعرفها، وكانت الحضارة الإسلامية في قوتها وفي عظمتها، في هؤلاء الأعداء
لدين أنتجتهم هذه الحضارة.

أبو يزيد العالم:

واتباعاً للجو الإسلامي، وعلى غرار السابقين والمعاصرين، بدأ
أبو يزيد رحلته الروحية بالعلم، وسنسى في جو أبي يزيد شرحين للوضع
صحح لموقف أبي يزيد من العلم حتى لا يندس على بعض الناس موقفه
منه.. إنه يقول فيها يروي أبو يحيى العربي البسطامي:

كان مشايخ ناحية بسطام من أصحاب أبي يزيد يحدثون عنه أنه كان
يقول:

«كان ابتداء أمرى أن أقامني الحق تعالى على أبواب العلماء وصحبة
متعلمين دهرًا طويلًا، فلما استكثرت من أنواع العلوم جعلت نفسي تحدثني
أنك قد علمت وعرفت، والعالم والعارف في أعلى المراتب فحسرت في الحق
تعالى حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين، فلم أر لنفسى معهم موضع قدم.

دلائب واصرفت ولم أصل إلى الحق».

قلت: العلم والمعرفة من غير حقيقة حجة، وكان عندي أن الحقيقة في العلم والاجتهاد.

ويلاحظ على هذا النص أمور منها

١ - أن أبا يزيد يقول: «أقامني الحق».

وهو - في ذلك - يسير مع طبيعته المؤمنة بقوله تعالى: ﴿إليه يرجع الأمر كله﴾

٢ - ويصف أبو يزيد فترة الإقامة في سبيل العلم هذه، بأنها: «دهراً حريلاً».

ثم ماذا؟

٣ - ثم كان ما من شأن النفس أن تسؤل به: الفخر بالعلم والتعالى

ولعلم على هذه الصورة يعتبر حجاً عند الذاهبين إلى الله تعالى، وهم من يرون ذلك يفرون من العلم إلى الله ضارعين أن يجنبهم أن يكون العلم

ومن الحق أن تقول: إنه لا يد من العلم لمن يريد السير إلى الله، ولكن

علم هو العلم المحدد بالكتاب والسنة، هو العلم بالمحكم، هو العلم

لا سعى في كل ما ورد به الكتاب والسنة. وهو - في الجانب المادي - الكشف عن سنن الله الكونية، فهو في هدوئك ريادة معرفته بأقنه تعالى، قد خرج عن ذلك إلى الجدل والمراء والخلاف وإثارة الشبهات والبحث في المتشابه فقد خرج إلى ما لا يجب الله ورسوله، وهو أئذاك مدعاة للفخر والعجب بالنفس والتعالى، فيكون حجاً

٤ - ومن هنا يقول أبو يزيد.

«الحقيقة في العلم والاجتهاد».

أي العلم والعبادة

ودلك ينتج الصفاء والإلهام.

والإلهام الصادق هو هدف العلماء والرهانيين الذين يسرون على طريق القرآن في قوله عن موسى ومناه:

﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتياً رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾^١.

إن الصوفية يسعون إلى هذا النمط من العلم، وهذا النمط من العلم يتأق بتوفيق الله عن الجمع بين العلم الكسبي والمادة بشرط أن يكون علم الكسبي علماً -

(١) سورة الكهف آية ١٥

وهذا ما أراد أبو يزيد حينما يقول.

«الحقيقة في العلم والاجتهاد» ولقد ضرب الصوفية بهم وافر في العلم كسبي، وكانوا أنمة في هذا المجال» وقد سبق أن كتبنا مايلي:
«أما عن لصوفية والعلم فإن الصوفية يمثلون العلم الإسلامي في قمته في جميع فروعها: في الفقه، وفي التفسير، وفي الحديث وفي الأخلاق».
وإذا أردنا أن نتحدث عن القمة العلمية الشامخة - التي لا تضارع -
بما اجتمع لديها من علوم مدروسة مرواة بحكمة فيها الإلتقان والاستتاج
نحصره، والنصر المتابع، والاتباع الواعي: أعنى شخصية الشيخ الأكبر
عسى الدين، فإن الحديث عنها يستغرق مجلدات.

وإن مقدمات مؤرخي الفكر بين الشيخ الأكبر وغيره من الغربيين
وتشريقين تصعد به إلى القمة.

والشيخ الأكبر يذكر دائماً بحجة الإسلام الغزالي الذي جمع في إحيائه
جميع كتاباً كل منها له استقلاله وله ذاتيته.. وألف منها - في إحكام محكم
- كتابه إحياء علوم الدين.

ولقد انهار تحت قلمه في سهولة وسر عباقرة الفكر الفلسفي فتهاوتوا
نهاروا، وأتى عليهم كتابه النفيس «تهافت الفلاسفة».

وأخذ حجة الإسلام بدعة الفلسفة وعبث الفلسفة في الشرق
إسلامي.

ولالإمام الغزالي أكثر من ثمانين كتاباً ورسالة، في الأصول والفقه
والتوحيد والفلسفة والتصوف.

ولا تزال كتبه تقرأ وتتداول وعليها دائماً طابع النضرة: طابع الخلود
والصورة الجميلة في الصوفية - في الأغلب الأعم - هي صورة الجنيد:
لقد كان الكتابة (اللغويون والأدباء) يحضرون مجلسه لألفاظه
والمقهاء لتفريده.

والفلاسفة لدقة نظره ومطانيه.

والمتكلمون لتحقيقه.

والصوفية لإشاراته وحققته.

يقول صاحب الرسالة القشيرية عنه:

كان فقيهاً على مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقاته بحضرته وهو ابن
عشرين سنة.

ويروي صاحب الرسالة القشيرية عن أبي الحسين علي بن إبراهيم
الحداد يقول:

حضرت مجلس القاضي أبي العباس بن شريح، فتكلم في الفروع
والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلما رأى إعجابي قال:

أتدري من أين هذا؟

قلت: يعول به الفاضل.

قال: هذا بركة مجالسة أبي ندمه لطيف

وإذا ذكر الجهد ذكر أستاذة خورت المعاسي.

وقد كان الممارث متفقا في الدين والخرية كأحسن ما يكون المتفق. لقد كان فقيها. وكان محدثا. وكان متكلم. وكان عالما في الأخلاق. وكان صوفيا. ولقد دخل في قوة في كل المشاكل التي وجدت في عصره بأحد مرشدا مجادا هاديا إلى الحق. ولحق في طوره هو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وألّف المعاسي الكثير من الكتب في شتى مجالات العلوم.

وليأخذ الإنسان أي صوفى من هؤلاء الذين ذكروهم السلمي في طبعه. أو الذين ذكروهم القشيري. أو الذين تحدث عنهم صاحب الحلية مسجدا لهم نوم اتخذوا من العلم عبادة. وعكفوا على دراسته تقربا إلى الله

وما كان علم الكتب هو غايتهم الأخرى وإنما مع علم الكتب كان طموحهم إلى تعلم الوحي. تعلم الذي يبعثه الله لبعض عباده العلم الذي سافر موسى عليه لسلام سفره شاقه مجهده ليلس في هايتها مع عيد من عبادة الله تعالى. علمه الله من لدنه علما. بقول سبحانه عن موسى وقناه

في وجودا عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عبدا وعلمناه من لدن

سأله^(١) وهو علم يمنعه الله لمن حقق له^(٢) الصودية

ولأن هذا العلم - وهو مطمحهم الأخير - لا يتأتى إلا بإخلاص عبودية لله. ولأن إخلاص الصودية لله لا يتأتى إلا بأن يكون الاستغراق في العمل؛ صلاة وذكرًا وصيامًا... من الأسس لخواص في حياة الإنسان. بأنهم اتجهوا في صورة موقفة إلى العمل.

لقد أخذوا الكتب بقوة. وكانوا تقياء. فأفاض الله عليهم من إلهاماته. واتسم ما دونوه بطابع الروحانية. واتسم بالنضرة. وكان طابعه أنه يزكو على مر الزمن.

ولصورة الية لشار إلهاماتهم هي كتاب: «إحياء علوم الدين» لشيخ الإسلام. وكتاب «الحكم» لابن عطاء الله.

ولقد كان لكتبهم الأثر الكبير الواضح في الهداية على مر المصور.

وإذا عدنا الآن إلى أبي يزيد على ضوء ما سبق فإننا نفهم نصوصه. في وضوح واضح. إنهم يفرقون بين نوعين من العلم:

- ١ - علم كسبي: من الكتب ومن المعلمين.
- ٢ - علم وحيي: أي إلهام عن الله تعالى.

(١) الكتب: ٦٥

وكلا العلمين أثبتها الله سبحانه وتعالى.

وسحدث أبو موسى - راوى أخبار أبي يزيد - عن موهف أبي يزيد من
عنه الإلهام، فيقول:

في ناحية أبي يزيد رجل فقيه، عالم تلك الناحية، فقصده أبو يزيد

قد حكى لي عنك عجائب.

فقال له أبو يزيد: وما لم تسمع من عجائبي أكثر.

قال: أعلمك هذا عن، ومن أين؟

فقال أبو يزيد: علمي من عطاء الله عز وجل، ومن حيث قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم:

«من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم».

ومن حيث قال:

العلم علمان: علم ظاهر وهو حجة الله على خلقه، وعلم باطن وهو
المعلم النافع.. فعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان للتعليم لا للعمل،
وعلمي من الله إلهامات من عنده.

فقال له الشيخ: علمي بالتأكد عن الثقات أكابر عن أكابر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه عز وجل.

فقال له أبو يزيد: يا شيخ، كان للبي صلى الله عليه وسلم علم عن الله
يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل.

قال نعم، ولكن أريد أن تصح لي أن علمك اندي تقول هو،
عن نعم، أثبتته لك على قدر ما يستعز في فديك معرفته

ثم قال يا شيخ، أما علمت أن الله عز وجل كلم موسى تكليماً قبل،
وكلم محمداً صلى الله عليه وسلم ورآه كفاً، وكلم الأنبياء وحياً؟

قال: بلى، ثم قال

يا الشيخ، ما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالإلهام منه لهم،
وفوائده وتأيدهم لهم، حتى أطلقهم بالحكمة، ونفع بهم الأمة؟

وما يؤكد ما قلت ما أهم الله عز وجل أم موسى أن تلقى موسى في
البايت حتى حمت ولدها وألفته في اليم، وكما ألقى الخضر أمر السقفة
وأمر الغلام وأمر الحانط.. وقوله لموسى: ﴿وما نعنته عن أمري﴾ وأده
علماً من عند الله عز وجل في قوله: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾.. وكذلك
أهم يوسف في السجن. وكما قال أبو بكر لعائشة: إن ابنة خاتمة حامل
باهرة مولدت جارية فقال إنما أهدمت ذلك، وب أهم عمر وكان على لغير
قنادي: يا سارية الجبل.. ومثل هذا كثير.

ومن الإلهام قوم حصه الله بالفوائد فضلاً من الله عليهم وكرامة منه،
وقد فضل الله بعضهم على بعض في إلهام ولعراسه فقام لشح وعمل

سرى صلا وسهيت صدى

وردا حدث مسحدث عن علم إلهامى بل - لك يشير دأنا حدلا عند علمه
سوه. ومن ذلك ما يلى، يقول أحد المؤرخين لابي بريد

-- مسبح يقولون: طعن بعض العلماء فى كلامه فقال ليس هو
سرى سوه فى العلم، فأجابته: أكل العلم قد بلغت؟ قال: لا. حال. هذا
من العلم فى النصف الذى لم يملك.

وإذا آمن الإنسان بالإلهام - ولا يد من أن يؤمن به - فإنه يفهم فى سرى
ما يقوله الصوفية فى ذلك مثل ما يقوله أبو يزيد:

«أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحى الذى
لا يموت...! وما يقوله ابن عربى

علماء الرسوم يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب،
والأولياء يأخذون عن الله، ألفاه فى صدورهم من نوره رحمة منه، وعناية
سيفت لهم عند ربه.

وما يقوله أبو يزيد:

ليس العالم من يحفظ من كتاب فإذا نسى ما حفظ صار جاهلاً بل من
يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء، بلا تحفظ ولا درس.

وهذا هو العالم الربانى.

ويحدث أبو بريد حين يرائق بعلم، ويقول فى ذلك، وقد سئل عن
علم العلم فقال: «إنما يحسن طلب العلم وإحبار الرسول صلى الله عليه
سوى من يطلب محرابه - يعنى لى صلى الله عليه وسلم أو المخبر
به فأما طيبه لى بن نفسه عند الخلق فإنه يرداد بعد من الله ورسوله.

ويعود فنقول: كان أبو يزيد متمكناً من العلم الكسبى، وما يوضح ذلك
ما يقوله أحد مؤرخيه

وبلغنا أن بعض العلماء طعن فى كلامه وقال: ليس بالذى يقول فى
تعليم، فقال له: نظر فى كتابك لفلان إلى ورقة كذا حتى تجد ما أقوله
سوى، ففتش عنها فوجد فيها ما أشار إليه من تعلم الدال عليه

وتبعاً لتعرقه بين العلم لكسبى ولعلم الإلهامى يفرق أبو بريد بين
صفات العالم وصفات العارف، وفى ذلك يقول عبید بن عبد القاهر قال
أبو بريد:

العارف فوق ما يقوله والعالم دون ما يقوله، والعارف ما فرح بشيء
سوى ولا خاف من شيء. أما والعارف ملاحظ ربه، والعالم يلاحظ نفسه
سوى، والعابد يعبد به الحال، والعارف يعبد فى الحال، وتواب العارف من
ربه هو، وكمال العارف احتراقه فيه له

ويتهى العلم والاجتهاد إلى ما يقوله أبو يزيد:

«الحق مثل الشمس مضيء: إذا نظر الناظر إليه أيعن به، فمن طلب

مد السان فهو في الخسران.

وسهى من هذا الحديث عن العلم برأى المجويزي في أبي يزيد من هده
رويه في هاية الحديث عن العلم، إن المجويزي يطلق على أبي يزيد
«ملك المعرفة».

ولكن هذه المعرفة التزم فيها أبو يزيد - كما ذكرنا - الشرع الشريف
يقول المجويزي كما يروى غيره أيضًا:

روى أنه قال:

«عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئًا على أشد من العلم
ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تحريد
التوحيد»

ثم يعلق الإمام المجويزي على ذلك بقوله:

وهذه حقيقة واضحة لأن الجبلة الإنسانية ميالة إلى الجهل أكثر منها إلى
العلم، ولذلك من السهل أن تقوم بأعمال كثيرة عن جهل، ولكن ليس من
السهل أن تحطو خطوة واحدة معرفة، وطريق الشرع الشريف أدق وأحد
من الصراط في الدار الآخرة، لذلك فإنه يجب عليك أيها السالك في كل
أحوالك أن تعتدى بالشرع الشريف وإن لم تمل درجة عالية أو مقامًا كاملًا
فإنك على كل حال تسقط في وسط دائرته، وكفى بذلك شرعًا أن يفضى
معك عملك الموافق، وإن ملت كل شيء وأهملت الشرع لم تمل شيئًا، وقد

ظهر ذلك كل أرباب اللسان للشرع، وإهمال هده الاقتداء من أصر
ما يكون على المرید.

لقد كان العلم عند أبي يزيد التزامًا وذلك يسلمنا إلى الحديث عن
أبي يزيد والتزام الشريعة.

الفصل الثالث

أبو يزيد والتزام الشريعة

والمجتمع الإسلامي الصادق يقوم على أسس من كتاب الله وسنة رسوله
صل الله عليه وسلم.

ورسول الله صل الله عليه وسلم هو الصورة التطبيقية للمبادئ
القرآنية، وهو صلوات الله وسلامه عليه في قوله وحاله وفعله شرح
للقرآن.. وكما يتبع الصوفية كتاب الله سبحانه فإنهم يتخذون رسول الله
صل الله عليه وسلم أسوة متبعين في ذلك قول الله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

ولقد كان لأبي يزيد في هذا الجانب مواقف تذكّر فتشكر ، إنه يقول :
«لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يثربع في الهواء فلا

صبراً، به حو مطروا كيف مجدونه عند الأمر والنهي وتحفظ الحدود وأداء

١٤٨

وآداب يوم قال أبو يزيد لأحد أصحابه.

«وم يـ حتى نظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية - وكان رجلاً مشهوراً بالزهد - فمضينا إليه ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه؟».

والمصوق عند أبي يزيد صورة جميلة، لها من الدنيا نصيب، ولها في الآخرة حظ وافر، وهي صورة تسير على طريق القرآن والسنة:

إنه سئل عن الصوق فقال:

«هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه، وسنة رسوله بشماله، ويظن بإحدى عينيه إلى الجنة وبالأخرى إلى النار، ويتزور بالدنيا ويرتدى بالآخرة، ويلبى من بينها للمولى: لبيك اللهم لبيك».

وكان أبو يزيد يتحرى مرضاة الله في كل ما يأتي وفي كل ما يدع، يفعل ذلك في يفظته، ويلتزمه حتى في منامه.. إنه يقول:

رأيت رب العزة في المنام فقال: إيش تريد؟

فقلت: أريد ألا أريد غير ما تريد.. فقال لي: أنا لك كما كنت لي.

ولقد عرف أبو يزيد - من غير شك - حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجميل الحاسم الذي يقول فيه.

«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

ويقول أبو يزيد متناسقاً مع الحديث الشريف:

طلب هواه في خلاف هواك ومحبهه في بغض نفسك الأمانة بالسوء، فإنه معروف عند مخالفة الهوى، محبوب عند بغض النفس».

وأبو يزيد في موقفه هذا من الاتباع إنما يسير في الخط الذي سار فيه لصوفية الصادقون من قبله، وسار فيه لصوفية الصادقون من بعده.

ولا بد من الحديث عن مواقف الصوفية من هذا الموضوع - موضوع الاتباع - وذلك لما وقر في أدهان بعض الناس من عدم التزام الصوفية للشريعة:

ونبتدئ بذكر كلمة للإمام الكامل الفقيه الأصولي المفسر الإسفراييني صاحب كتاب «التبصير في الدين» وهو من أئمة أهل السنة، المعنيين أشد عناية بالرد على كل من يخالف مذهب أهل السنة.

إنه يذكر ما يمتاز به أهل السنة عن غيرهم من الخوارج والروافض والقدرية فيذكر أن سادس ما يمتاز به أهل السنة هو:

إلى الاستعداد بالتصفيّة الجبردة، واحتضار الأمة، مع الإرادة الصادقة،
والتمسك التام، والترصد بدوام الانتظار لما يغتمه الله من الرحمة
ومن هذا الطريق يقول ابن خلدون:

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه الجاهدة، وكان حطهم
ومن هذه الكرامات أوفى المظلوم، لكنهم لم يقع لهم بها عناية
وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم كبير منها،
وتبعهم في ذلك أهل الطريقة، عن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم،
ومن اتبع طريقهم من بعدهم.

هنا فيما يتعلق بالطريقة.

أما فيما يتعلق بالترشح والشعور والأحوال فإن الصوفية على وجه
العموم تهبوا في صورة حاسمة إلى وسوب التراب الشرعية:

لقد تحمدت الإمام الجليل أكثر من مرة - فيما يتعلق بالصلاة بين التصوف
والشرعية - وما قاله في ذلك:

«الطرق كلها مسدودة على المطلق إلا على من اقتضى أمر الرسول صلى
الله عليه وسلم واتبع سنته ولم يرفقه».

وقال أيضاً:

من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقبض به في هذا الأمر، لأن

عنه التصوف والإشارات، ومالم فيها من الدقائق والمفاتيح لم يكن قط
لأحد من أهل البدعة فيه حظ، بل كانوا محرومين عما فيه من الرامة
والعلاوة، والسكينة والطمأنينة.

وقد ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في مشايخهم قرياً من أئمة وجمع
إشاراتهم وأحاديتهم، ولم يوجد في جملةهم قط من ينسب إلى شيء من بدع
الفرقة والرافض والحاريج.

وكيف يتصور فيهم من هؤلاء، وكلامهم يدور على التسليم والتفويض،
والغري من النفس، والتوحيد بالمطلق والمشيئة.

وأهل البدع يسمون الفعل والمشيئة والمطلق والتقدير إلى أنفسهم وذلك
بجزل عما عليه أهل المقتضى من التسليم والتوحيد.

بعد هذا نبدأ في النظر إلى طريق التصوف وصلته بالشرعية، يقول
الإمام العراقي:

إن الطريق إلى ذلك إما هو: تقديم الجاهدة وهو الصفات المنسوبة،
وقطع الملاقاة كلها، والإقبال بكنه الأمة على الله حال.. ومنها حصل ذلك
كان الله هو المتول للقلب عبده، والمكفل له بتوجيهه بأزوار العلم.
وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق التورق القلب،
وأشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانفتح عن وجه القلب حجاب
المرء بطلب الرحمة، وتلاوات فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على الجيد

سماهد مفيد بأصول الكتاب والسنة»

ولقد كان الإمام العراقي في سلوكه وفي قوله، في حياته الخاصة والعامة، بلرم السريعة ويقول: إن المحققين قالوا:

«لو رأيت إنساناً يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وهو يتعاطى أمراً بحالف الشرع، فاعلم أنه شيطان»

يقول أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

«ومن دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعي».

والواقع: أن المتل الأعلى للصوفية على بكرة أبيهم إنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يحاولون باستمرار أن يتهجوا تهجته، وأن يسيروا على سنوالة، فهو إمامهم الأسس في كل ما يدعون، وهم يتابعونه مهتدين في ذلك بقول الله سبحانه وتعالى.

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾^(١)

وبعد: فلعل مما يبين مدى التزام أبي يزيد للشريعة وللأخلاق الإسلامية ما يلي:

فريضة البدن^(١)

يقول علي بن محمد بن صالح بن سهل القومسي، قال أبو يزيد سيطامي، عشرة أشياء فريضة على البدن.

أداء الفرائض، واجتناب المحارب، والتواضع لله، وكف الأذى عن الإخوان، والنصيحة للبر والفاجر، وطلب المغفرة، وطلب مرضاة الله في جميع أمورهم، وترك الغضب والكبر والنفي، والمجادلة من ظهور الجعاع، وأن يكون وصي نفسه ينهي الموت.

حصن البدن:

قال: وقال أبو يزيد:

عشرة أشياء حصن البدن:

حفظ العيدين، ومعاودة اللسان بالذكر، ومحاسبة النفس، واستعمال العلم، وحفظ الأدب، وفراغ البدن من شغل الدنيا، ولعزلة من الناس، ومجاهدة النفس، وكثرة العبادة، ومتابعة السنة.

في هذه النصوص يقصد أبو زيد بكلمة «البدن» المعنى الذي تدل عليه كلمة «الكائن» (بدن) أو «الإنسان»

(١) سورة الأحزاب، ٢١

شرف البدن.

قال: وقال أبو يزيد:

عشرة أشياء شرف البدن:

الحلم، والحياء، والعلم، والورع، والتقوى، والخلق الحسن، والاحتمال،
والمداورة وكظم الغيظ، وترك السؤال.

خراب البدن:

قال: وعشرة أشياء تخرّب البدن:

مصاحبة من لا يحبه دينه، ومفارقة أهل الخير، ومتابعة أنفس، وبجانية
الجماعة، وبجاسة أهل البدعة، وطلب ما لا يحته، وتهمة الخلق، وطلب
العلو، وهم الدنيا.

ما يميّز البدن:

قال: وعشرة أشياء يميّز البدن:

قلة الأدب، وكثرة الجهل، وتهمة الخلق، وشهوة البدن، وطلب الرئاسة،
والميل إلى الدنيا، ومحاباة النفس عند الحق، وكثرة الأكل.

ذل البدن:

قال: وعشرة أشياء فيها ذل البدن

الحدة، والغضب، والكبر والبعى؛ والمجادلة، والبخل، وإظهار الجفاء،
وترك حرمة المؤمن، وسوء الخلق وترك الإصاف

الفصل الرابع

أبو يزيد والشطح

عن الشطح

ولعل الكثير من الناس يتساءلون.

إذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بنبأع أبي يزيد، وتحكيمه الكتاب والسنة، فما الشأن في هذه التعبيرات التي تسبب إليه والتي يرى فيها البعض مظاهر لا تتفق مع الشريعة الإسلامية؟

وردنا أولاً. هو أن ما ذكرناه سابقاً يحكم على غيره. أي أن ما ذكرناه سابقاً هو الأصل. وهو الذي كان عليه أبو يزيد. أما ما عداه مما يتناقض معه فإنه غير صحيح.

وما من شك في أن بعض الناس من دينهم أن يفتشوا على الآخرين، وأن ينسبوا إليهم افتراء - ما لم يكن لهم.

وهذا العريق من الناس مجد لذة في ذلك، لأن في قلبه مرض لا يهدأ إلا
بشئيع على الآخرين، وبما يكون من هذا القبيل وعن هذه البواعث
رضية الكثير مما نسب إلى أبي يزيد.

وعن ذلك يقول شيخ الإسلام الإمام عبد الله الأنصاري الطروي
سنوى سنة ٤٨٦.

إن كثيراً من الأكاديب قد انتحل باسم أبي يزيد البسطامي، مثل قوله
«صعدت إلى السماء، وضربت قبتي بإراء العرش».

وسئل أبو علي الموزجاني رضى الله عنه عن الألفاظ التي تحكى عن
أبي يزيد فقال رحمه الله - في حكمة دقيقة وفي بصيرة باعده:

أبو يزيد تسلم له حاله ولعله بها تكلم على حد غلبة حال أو سكر، ومن
أراد أن يرتقى إلى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد فهناك
يفهم كلام أبي يزيد

أما الإمام الذهبي - الناقد الصارم - فإنه يقول

«نعلوا عنه أشياء كبيرة، الشأن عدم صحتها».

وبعد أن ذكر بعض ما تلوكه الألسنة، مما يقول عنه: الشأن عدم
صحتها». قال:

«ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول: قتله حال سكره». اهـ
وقال ابن حجر بعد حكايته ذلك عنه، ومعقفاً على قوله، قلت:

أبو يزيد يسلم له حاله، وأتته متولى السرائر

ويتحدث الجنيدي عن شطحيات أبي يزيد ويقول:

إن الرجل مستهلك في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه، لذهوله في
الحق عن رؤيته إياه، فلم يشهد إلا الحق تعالى، معناه فطو به ولم يكن من
علم ما سواه، ولا من التعبير عنه ضناً من الحق به، ألم تسمعوا مجنون بنى
عامر لما سئل عن اسم نفسه فقال: ليلى، فنطق بنفسه ولم يكن من شهود
إياه فيه.

ومما يتناسق مع كلام المنهيد أن يوسف بن الحسين قال: كنت عند
ذى النون فجاهه رجل فقال له: رأيت أبايزيد؟ فقلت له: أنت، أبايزيد..
فقال: ومن أبويزيد؟ ياليتني رأيت أبايزيد.. فبكى ذوالنون وقال: إن أخى
أبايزيد فقد نفسه في حب الله، فصار يطلبها مع الطالبين.

ومع أن الشك قوى في نسبة الكثير مما زعم البعض وروده عن أبي يزيد،
فإن هناك محاولات للتفسير والشرح، يقولون مثلاً: إنه قرئ عليه: «إن
بطش ربك لشديد»

فقال: بطشى أشد.

ووجهه كما قال ابن عربي: أن بطش العبد بطش معرى عن الرحمة،
فبس سدد حالة بطشه من الحرمة شيء ويطش الحق بكل وجه فيه رحمة
المبظوش به فهو الرحيم له في بطشه.

واقه سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾. أعقب ذلك بقوله: ﴿إنه هو يبدئ ويعيد، وهو الغفور الودود﴾.

إنه سبحانه غفور ودود في بطشه، وحينما تحدث عن بطش الإنسان قال سبحانه: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ فبطش الإنسان فيه جبروت، وبطش الله مشرب بالرحمة.

ولعد روبا عن أبي بردت تفسيرا للكلمة من الكلمات التي يرووها كثيرا عنه، يروون أنه قال: قلت يوما سبحانه الله.

فأداني الخالق في سرى: هل في عيب تزعمني عنه؟ قلت: لا يارب. مال فنفك نزه عن ارتكاب الرذائل، فأقبلت على نفسي بالرياضة حتى تزهدت عن الرذائل. وتخلت بالفضائل، فصرت أقول: سبحان ما أعظم شأنى. من باب التحديث بالنعمة.

ولست أحرى ما إذا كانت القصة التالية تحتاج إلى شرح وتفسير، أو اعتداد عن أبي يزيد، يقول محمد بن علي الواعظ.

وفيا أفادنى بعض شيوخ الصوفية حاكيا عن الجنيد بن محمد قال: سمعت أبا موسى عيسى بن آدم ابن أحمى أبي يزيد طيفور بن عيسى بالفارسية فترجمناها بالعربية، قال أبو موسى.

وكان أبو يزيد إذا حاج بدا منه كلام نحفظه، ومنه قوله:

«وده ودى، وودى وده، عشقه عشقى. وعشقى عشقه حبه حبنى، وحبنى حبه»!

حبه»!

الفصل الخامس

أبو يزيد العابد

بدأ أبو يزيد رحله إلى الله بالعلم، العلم المنتم. لكنه لا يكفى أن تعلم ولكن لابد أن تعمل «والمعمل جهاد، إنه مجاهدة للنفس من أجل الاتباع الصادق، ويقول أبو يزيد:

«عملت في المجاهدة ثلاثين سنة.

ويفصل أبو يزيد في هذا الأمر، ونحن نسير معه في المنهج الذى أقامه الحق فيه.

وإذا كان الحق أقامه في العلم دهرًا طويلًا لم يكن العلم فيها حائلا بينه وبين أداء الفروض. فإن الحق تعالى أقامه:

مع المصلين في الجماعة والمجاهدين دهرًا طويلًا. لم يكن يفوته مع الإمام التكبيرة الأولى».

ودمه الحق:

«مع الصائمين دهرًا طويلاً».

واذمه الحق:

«مع زوار بيته دهرًا طويلاً».

إنها العبادة. هل تعد ذلك مرحلة تلي العلم؟ أو تعدها مرحلة مصاحبة للعلم؟ أو تعدها مرحلة تلت معرفة المبادئ العلمية الأولى الضرورية لإقامة فرض الدين ثم صاحبت درجات العلم التخصصية؟

إننا نميل إلى الفرض الأخير. وذلك أن كلا من هذه الأمور العلم، الصلاة، الصيام، الحج، لا يتتاق بعضها مع البعض الآخر، فكلها عبادة.. وكان أبو يزيد معنيًا بالعبادة عناية شديدة.

يقول عنه صاحب كتاب «كشف المحجوب».

كانت حياته منذ البداية تقوم على مجاهدة النفس وكثرة التعب والنصوص التالية تبين شيئًا عن عبادة أبي يزيد التي كانت تتضمن طول التأمل وطول التفكير، والتي كانت تطبيقًا لقوله تعالى واصفًا أولى الألباب

﴿إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فلتنصتوا لعداب النار

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم وما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على وسلك ولا تخزتنا يوم القيامة. إنك لا تخلف الميعاد»^(١).

عبادته وحياته:

وأبو موسى خادم أبي يزيد وابن أخيه، ولد آدم، وقد اجتهد في خدمته، وجد في تعهده ووده، وبالغ في حشمته وحرمة، حتى نقل أنه كان -أبو موسى- يحفظ على أبي يزيد أوقات الصلوات، حتى كان يتردد إلى باب نوحان - ونوحان موضع فسح - لم يكن بينه وبين رؤية الصبح حجاب، إذا رأى الصبح قد انفجر أعلنه، فيهرز إلى المسجد من صومته.

وقال ابن معاذ:

رأيت في بعض مشاهداته كالفرق ضاربًا بذقنه على صدره شاحصًا بعينه من المشاء إلى الفجر، ثم سجد عند السحر فأطال سجوده، ثم قعد فقال: اللهم طلبوا منك فأعطيتهم طي الأرض والمشى على الماء وركوب الهواء وانقلاب الأعيان، وإني أعوذ بك منها!

ويصف أبو يزيد بجرى طريق المبودية، ويقسمه بحسب أوضاع الناس

(١) ال عمران: ١٩٠-١٩٤

• مع موص أمره إلى الله تعالى. قانع ساكن عليه إليه. راجح إلى
• عده. منيب إليه. يريد الأنا والزلقة لديه. لا يريد من الدنيا والآخرة

ومن العبادة (الجهاد) وذلك يقتضى فصلا مستقلا.

الفصل السادس

أبو يزيد والجهاد في سبيل الله

لقد فرض الله جهاد أعداء الله ورسوله بكل وسيلة من الوسائل.
بالقلب وباللسان والمدفع.
وإنفاق المال في سبيل الله للتغلب عليهم.
وبذل النفس رخيصة في سبيل النصر.

وفي القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة آيات كريمة، وأحاديث
سامية هي بيانات حربية من أقوى ما يكون. إنها بيانات حربية تختلف
أساليبها وتتنوع. فتكون في صورة نصيحة أو في صورة أمر. أو في صورة

ولقد أحاط الله ورسوله بالجهاد بكل ما يكفل للمسلمين النصر بإن الله
ابتداء من الجانب المادي

﴿واعبدوا: هم ما استطعتم من قوة﴾ إلى الجادب الروحي الذي استعاض
به كثيراً، وتحدث عن مبادئ اجتماعية وأخلاقية هي أسباب ووسائل
عمر

لقد تحدث عن الثبات عند اللقاء.

وعن ذكر الله.

وعن الطاعة

وعن وحدة الأمة.

وعن عدم النزاع.

قال تعالى:

﴿يأيا الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيراً لعلكم
تلتحقون. وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم،
واصبروا: إن الله مع الصابرين﴾.

ويقول تعالى:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن،

(١) سورة الأعراف، ٤٥، ٤٦

ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز
العظيم﴾^(١)

يقول الألويسي:

ترعيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فصله ولا ترى ترغيباً في الجهاد
أحسن ولا أبلغ مما في هذه الآية، لأنه أهره في صورة عقد عاقده رب
الغزة جل جلاله، وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على
قلب بشر ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط. بل كونهم قاتلين أيضاً
لإعلاء كلمة الله تعالى، ونصرة دينه سبحانه، وجعله مسجلاً في الكتب
السموية، وماهيك به من صك! وجعل رعيه حقا، ولا أحد أوفى من
واعده، فثبته أوثق من نقد غيره

وأشار إلى ما فيه من الريح والفوز العظيم، وصور جهاد المؤمنين وبذل
أموالهم وأنفسهم فيه. وإثابة الله تعالى لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء.
وأق سبحانه بقوله: ﴿يقاتلون﴾.. إلخ بيان لمكان التسليم وهو الحركة،
وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم.

«الجنة تحت ظلال السيوف». ثم أمضاء سبحانه بقوله:

﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾

(١) التوبة: ١١١

ومن هنا أعظم الصحابة رضی الله تعالى عنهم أمر هذه الآية لقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن جابر بن عبد الله قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.. إلخ فكثر الناس في المسجد فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفي رداثة على عاتقه فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية أقال صلى الله عليه وسلم: نعم، فقال الأنصاري: بيع وبيع لا تقبل ولا نستقبل.

أما إذا كان الاستشهاد فإن الله سبحانه وتعالى يقول

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ حَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وإن من موارث أسلافنا رضوان الله عليهم التي كانوا في الأغلب الأعم - يواظبون عليها أنهم كانوا يذهبون إلى الربط يرايطون فيها مسلمين مستعدين للجهاد، والربط: جمع رباط وهي أمكنة على الحدود وعلى الثغور يربط فيها كل من وهب نفسه لله جاعلاً حياته في سبيله. لقد كانوا يقيمون فيها حارسين حذرين من العدو أن يغير على بلاد المسلمين عن طريقها، فهم يسهرون الليل على أسوار الربط يرقبون أية

(١) سورة آل عمران، ١٦٩-١٧٠.

حركة مريبة من العدو مستعدين بأسلحة حصرهم مدزين على أحدث طرق القتال السائدة في زمانهم.

وكان أبو يزيد يربط. كان يرتقى سور الرباط ويستمر طيلة الليل حارساً له ممن يقصده من الأعداء، ولكنه لم يكن مرابطاً محسباً، وإنما كان مرابطاً ذاكرة؛ وقد جمع هذا بين حثتين اللتين ذكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حينها قال:

«عيناك لا تمسها النار؛ عين بكت من حسنة الله وعين سهرت بحرس في سبيل الله».

وكما أمر الله سبحانه وتعالى بالجهاد وحراسة في سبيل الله فإنه سبحانه وتعالى أمر بالذكر؛ بل أمر بالذكر لكثير وحالة الحرب فقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَسُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا الْفِتْنَةَ فَتُنَافِقُوا وَتَكُونُوا مَكْرُومِينَ، وَأَصْبِرُوا، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

والله سبحانه وتعالى يبين بهذه الكلمة تعاريف الكريمة بعض عوامل النصر؛ وكما أن من عوامل النصر التمسك فإن من عوامله ذكر الله تعالى.

ولا تقل أهمية ذكر الله تعالى عن أي عامل من عوامل النصر. كان أبو يزيد يحرس ويذكر؛ ويتعبر آخر ذكر أبو يزيد بين المسجد ذاكرة وبين الحرب مشهراً سيفه؛ ويقول أبو يزيد عن نفسه في صراحته، إنه ما كان

سجد إلا على حائط رباط أو حائط مسجد: أي أنه كانت حياته في مجال العادة، وفي مجال الجهاد إنه يقول: لم أزل منذ أربعين سنة أن ما استندت إلى حائط إلا إلى حائط مسجد أو رباط فعمل له: لم لا تستند وى ذلك رحمة؟ فقال: سمعت الله عز وجل يقول:

﴿من عمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(١)

هل ترى من رحمة؟

وإذا كانت العبادة في الأعراف الإسلامية جهاداً فإن أبا يزيد كان - حياته - في مجال الجهاد.

وإذا كان الجهاد في الأعراف الإسلامية أيضاً عبادة من أسمى أنواع العبادة فإن أبا يزيد كان - حياته - في عبادة.

ويقول أبو يزيد أيضاً:

«أقامني الحق مع المجاهدين أضرب معهم بالسيوف في وجوه أعدائه دهرًا طويلاً».

وفي هذه الكلمة تعبير جميل هو «أقامني الحق» إن الحق سبحانه هو الذي أقامه، فالفضل له سبحانه، وهذه سمة من السمات الواضحة عند الصوفية، إن الحق هو الذي يقيمهم قياً هم فيه من خير بل هو الذي

(١) سورة الزلزلة، ٧، ٨.

يقيمهم في الشكر حينما يتشكرون على ما وقفهم إليه من أعمال الخير، فالفضل منه، والشكر منه، والزيادة بسبب الشكر منه، والشكر على الزيادة منه

ولم يكن أبو يزيد بدعاً في الجو الصوفي، وإذا كان المؤرخون للصوفية يرون مروراً عابراً على جهاد الصوفية فإن ذلك لما يؤمن به المؤرخون من أن أمر جهاد الصوفية من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بيان مستفيض.

لقد كانوا يجاهدون في جميع الميادين:

جهاد النفس.

جهاد في المجتمع.

جهاد أعداء الله باللسان والقلب والسيف.

ونحب في هذا المقام أن نلقى بعض الضوء على جهادهم بالسيف بمناسبة جهاد أبي يزيد.

لقد قلنا إنه لم يكن بدعاً في الجو الصوفي

وذلك أن من كبار المجاهدين الذين خاضوا لمعارك شيخ الصوفية الإمام إبراهيم بن أدهم.

لقد غزا في البر، ولقد غزا في البحر، وكان في هذا ودالك ذاكراً لله لا يفتر

وسمى ربيب السيف والزهد والعبادة الإمام شقيق البلخي، من كبار زعماء الصوفية، وكان صاحب مدرسة مجاهدة عابدة. كان يسعده رؤية السيوف تلمع ورؤية المعركة تتحدث، وما كانت نفسه آن ذاك تطير شعاعاً من الأبطال، وما كان يقول لها: ويحك لن تراعى. وكان كلما حى الوطيس وهو في غمار المعركة كانت سعادته أكثر وهو يسكل بالعدو في شجاعة لا تبالى بالموت وقعت عليه أو وقع عليها.

وكانت ثقة شقيق في الله مطلقة، وبلغت إلى الحد الذي أندفع فيه شقيق في الجهاد في سبيل الله، لا يبالي على أى جنب كان في الله مصرعه..
وها هو بين الصفيين في محاربة العدو مسلحاً بالإيمان والعدة الحربية وقد لتحم الجيشان فليس هناك إلا سيوف مصتة، ورقاب تققع، ورموس تسقط، وإذا بشقيق يقول لمن بجواره:

كيف ترى نفسك؟ أترى نفسك في حالة تشبه حالتك في الليلة التي زفت فيها امرأتك إليك؟

فقال صاحبه: لا والله.

فقال شقيق:

لكنى - والله - أرى نفسى في هذا اليوم مثل ما كنت في الليلة التي زعت فيها امرأتى إلى!

ومات شقيق شهيداً في ساحة الحرب والجهاد وسنه أربع وتسعون.

وكانت مدرسه شقيق الصوفية على عراره، فكان تلميذه حاتم مثلاً يرافقه في المعارك ويخوض غمارها غير هيب ولا وجل، وقد سبق أن كتبنا عنه ما يلي:

«وحياة حاتم الأصم تزيل كثيراً مما ألحق بالصوفية من تهم لانت إلى الحفيظة بصلته، وأول هذه التهم المزيفة أن الصوفية لا يمارسون الجهاد في سبيل الله - والواقع أن العكس هو الصواب.

وها هو ذا حاتم وأستاذه شقيق - وكلاهما من بلخ - قد ساهما في الجهاد بصورة ملحوظة، وقد استشهد أستاذه شقيق في ساحة الجهاد.

ويصف حاتم ساعة الوغى في معركة من المعارك التي خاصها فيقول:

«لا أرى إلا رهوساً تندر - أى تسقط - وسيوفاً تقطع ورماحاً

نضرب».

وقد كان حاتم يحارب بشجاعة لا يبالي الموت، وقد صور عدم ميالاته بالموت عندما حدث أن تغلب عليه الأعداء مرة وأخذه أسيراً، وجثم أحدهم على صدره ليدهجه، إنه يصف شعوره وهو في هذه الحالة فيقول:

«لم يشتغل به قلبي، بل كنت أنظر ما يحكم الله تعالى فينا فبينما هو يطلب السكين التي يديح بها أصابه سهم فقتله فقامت سلياً معاقاً!

فام سلياً معاقاً ليواصل المعركة من جديد!

الأخبار، ومساكن طيبة يفتح جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبها
مصر من الله وفتح لهم فيه ويشر المؤمنين ﴿٤٠﴾

وقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بثمن هو الجنة وعبر عن
ذلك بقرانه.

فإن لله شئرى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في
سبيل الله ويقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والفرقان
ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا بيمينكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز
العظيم. التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الرَّاكعون الساجدون،
الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر، والنافلون الحمد لله وبشر
المؤمنين ﴿٤١﴾.

ورصف المؤمنين الذي ذكروه الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة
هو الوصف الذي أحب الصوفية تحقيقه وصلوا طيلة حياتهم على إظهاره
في الواقع

وإذا قفرتنا في ساحة الزمن قفزة واسعة فوصلنا إلى معركة التصورة،
فإننا نجد كبار المؤمنين وصفوة الصوفية في قلب الحركة. لقد تركوا بيوتهم
وأسرهم وهجروا متوجهين إلى التصورة ليساهموا في النصر، والاستعداد في
سبيل الله، ولتكون الجنة تحت ظلال شجرهم - ولقد كان - وهذا له أهميته

ونظرة حاتم للمجاهد نظرة عامة شاملة، وهي النظرة الإسلامية الصادقة
للمجاهد، إنه يقول:

المجاهد ثلاثة:

مجاهد في سرور مع الشيطان حتى تكسره.

ومجاهد في الملائية - في أداء الفرائض حتى تؤذيها كما أمر الله

ومجاهد ضد أعداء الله لنصرة الإسلام

إن الصورة مجاولون ان يصلوا إلى مرضاة الله في كل أمر من الأمور
التي يحبها الله ورسوله، وموقفهم من الجهاد كموقفهم من سيادة الإسلام
العاصلة التي يحبون أن يصلوا فيها إلى مرضاة الله ورسوله وهم يعرفون
قوله تعالى في هذه الصورة الخامسة:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَأْتُوا وَحَادُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١١)

ويرتفعون أن الجهاد تجارة مع الله، وهي تجارة رابحة، يقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُبَدِّلُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَتَجَارِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، ذَلِكَ حَرِّ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَفْتَرِ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا

(١١) سورة الممتحنة: ١٥.

المخاصة - أبو الحسن الشاذلي وهو من صفوة الصفوة الصوفية - قد تجاوز الستين، وكان قد كف بصره، ومع ذلك فإنه ترك بيته، وذهب إلى المنصورة مساهماً في المعركة بقدر استطاعته.

لقد كانت المعركة شغله، بالنهار، وشغله بالليل، لند كانت تشغله مستيقظاً، فيمر بسمته الوقور، وبهيبة المستعملة من تقواه، وبالتوريش من وجهه بين الجنود، مشجعاً حاثاً، مبشراً بالنصر وبالخسة، فإذا ماجه الليل أخذ يبتهل إلى الله سبحانه وتعالى متضرعاً خاشعاً راجياً التوفيق والنصر للأمة الإسلامية.

وفي ليلة من الليالي رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رؤيا طويلة، وأصبح - رضى الله عنه - يبشر بالنصر.

ولم تكن هذه هي الواقعة الأولى التي ساهم فيها أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه - ولم تكن الأخيرة.

وإذا قفزنا في ساحة الزمن مرة أخرى وجدنا الإمام الصالح الورع الراهد شمس الدين الديروطنى ثم الديراملى الراشد

قد حط - هاجم وانتقد - مرة على السلطان الغورى في ترك الجهاد. فأرسل السلطان خلفه، فلما وصل إلى مجلسه قال للسلطان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - فلم يرد عليه - فقال: إن لم ترد السلام فسقت وعزلت! فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم قال: علام تحط عليا

بين الناس في ترك الجهاد وليس لنا مراكب نجاهد فيها؟ فقال: عندك المال الذى تعمر به، فطال بينها الكلام فقال الشيخ للسلطان:

قد نسبت نعم الله عليك، وقابقتها بالمعصيان! أما تذكر حين كنت مصرانياً ثم أسروك وباعوك من يد إلى يد، ثم من الله عليك بالحرية والإسلام ورقاك إلى أن صرت سلطاناً على الملقن؟ وعن قريب يأتيك المرض الذى لا ينجع فيه طب ثم تموت وتكفن، ويحفرون لك قبراً مظلماً، ثم يدس أنفك هذا في التراب ثم تبعث عرياناً عطشاناً جوعاناً، ثم توهب بين يدي الحكم المدل الذى لا يظلم مثقال ذرة، ثم ينادى المنادى:

من كان له حق أو مظلمة على الغورى فليحضر، فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله تعالى!

فتغير وجه السلطان من كلامه، فقال كاتب السر وجماعة السلطان: لعاعة يا سيدى الشيخ، خوفاً على السلطان أن يفتل عقله، فلما ولى الشيخ، وأفاق السلطان قال: انتوا بالشيخ معرض عليه عشرة آلاف دينار يستعين بها على بناء البرج الذى فى دمياط فردها عليه وقال: أنا رجل دو مال لا أحتاج إلى مساعدة أحد ولكن إن كنت أنت محتاجاً أقرصتك وصبرت عليك!

فما روى أعر من الشيخ فى ذلك المجلس، ولا أدل من السلطان فيه. وقد توفى شمس الدين الديروطنى رحمه الله فى ربيع الأول سنة إحدى

وعشرين وتسعمائة وله من العمر نيف وخمسون سنة رضى الله عنه وإد
ما قفرا مره أخرى في ساحة الرمس - فقرة واسعة، فيها تلتمى بالصوة
الشهير: عبد القادر الجزائري

لقد كان من كبار الصوفية، ومن كبار القادة في الحرب، وقد حارب
الاستعمار في الجزائر، وعمل بإيمانه القوى وصوفيته العميقة الأعجاب و
الشجاعة والإقدام.

وقد بدأ الحرب بأفراد قلائل سرى إيمانه وإقدامه فيهم، فتمثلت فيهم
الشجاعة في أسى مظاهرها، وأخذ عددهم يزداد شيئاً فشيئاً على مر
الأيام

أما أسلحتهم فقد كانت ما يأخذونه من أسلحة العدو

ولقد وجه الأمير عبد القادر الجزائري النداء تلو النداء للأمة الإسلامية
من أجل العون المالى والإنسانى، ومن أجل العون في العتاد.. فكانت
المساعدات التي قدمت إليه مخجلة يندى لها الجبين! نشعر الأمة الإسلامية
بأنها أمة واحدة، وكأن لم نسمع ولم نقرأ قول الله سبحانه وتعالى
﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة؛ وأنا ربكم فاعبدون﴾^(١).

وهوله تعالى:

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾^(٢).

(١) الأنبياء ٩٢

(٢) المؤمن، ٥٢

الأمّة الإسلامية لم تتجاوب مع الأخوة، وكأنها لا تشعر بقوله تعالى:

﴿يا أيها المؤمنون إخوان﴾^(١).

ولا يحس بالإحساس الإسلامى:

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يجذله»^(٢)

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٣).

«ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» وم يشن كل ذلك الأمير
عبد القادر عن منابته الحرب والكفاح ضد المستعمر، وعندما أسر أكرمه
الأعداء أنفسهم لشجاعته وشهامته ومروته.

ولما حالت الظروف القاهرة بينه وبين جهاد وانتصحية الحربية - وذلك
بعد الأسر - مكث في دمشق يدرس التصوف متخذاً «الفتوحات المكية»
كتابه لمصل في الشرح والتفسير ولقد طبع هذه الفتوحات، وفي أثناء
قامته بدمشق ألف كتاب «المواقف»، وهو كتاب في التصوف عريق بين
فيه وجهة نظر الصوفية في مختلف الموضوعات.

(١) حجر - ١

(٢) -

(٣) البخارى

الفصل السابع

الوصول

بدأ أبو يزيد بالعلم فأقام به أمور دينه، وتخصص فيه حتى يقول
لمجويزي عنه:

«له روايات عالية لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ويقول في وصفه: فلك المرفعة

وعن وصف علمه يقول:

«كان متمسكاً بالشرعية السمحاء، بعيداً عن مظان الشبه التي نسبها
إليه أهل الباطل تدعيًا لبدعهم».

وسار أبو يزيد في العبادة أشواطاً وأشواطاً.

ومع كل ذلك، ومع الجهد والاجتهاد، من درجه لمرب من الله سبحانه
وتعالى هي توفيق منه سبحانه، ولا يصل إليه إلا من يلجأ إليه

« فوجدة القرب إما أن تكون: «اجتباء».

وإما أن تكون: «هداية».

يقول سبحانه

﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾^(١١)

إنه سبحانه الذي يجتبي، وهو سبحانه الذي يهدي؛

والوصول إليه إنما يكون به، ولا مناص من التصرع والابتغال والدعاء،
ليعرض الإنسان إلى نفعاته، وفي الأثر:

«إن لربكم في أيام دهركم نفعات؛ ألا فعرضوا لها»

ويبدو أن أبا يزيد بصورة لا شعورية كان يشعر بنفسه، بل هو يصرح
بذلك بمناسبة موضوع الحج فيقول إنه حج أول مرة؛ فرأى الكعبة، لقد
رأى مبنى ورأى نفسه، ثم حج مرة ثانية فرأى مبنى الكعبة وشعر مع ذلك
برب الكعبة، وشعر بنفسه أيضاً ثم حج للمرة الثالثة فتشعر برب الكعبة،
ولم يشعر بنفسه، وهنا علم أن هذه الحجة هي الكاملة

ومن أحل ذلك فإنه في المسح لدى تحدث فيه عن سيره إلى الله بعد أن
طوف بالعلم والعبادة والجهاد، ولم يصل بكل ذلك إلى درجة القرب التي

(١١) النورى الآية: ١١

بصاها، وذلك بسبب رؤيته نفسه في العبادة والاعتداد بها، لجأ إلى الله
متصرعاً مبتهلاً خائفاً

ويروى أبو يزيد ذلك فيقول:

قلت: إلهي ارحمني وأرحم حيرتي، وأقم بعبيدك مقاماً أتقرب به إليك،
لا يناقسي في ذلك المقام منافس، ولا يزاحني فيه مزاحم، فلفقد أشرف بي
على من سبقوني إليك ورأيتني لا أطيق اللعوق بهم!

فناداني الحق: «يا أبا يزيد! إنه لا يتقرب إلى متقرب مثل من يأتيه به
يس لى.»

قلت: إلهي! وما الذي ليس لك، وأنت تقرب من يأتيك به؟ ومن أين لى
ماليس لك؟

فقال: يا أبا يزيد ليس لى فاقة ولا فقر، فمن انتهى لدى الوسيلة بها
قربته من بساطي!

قلت: اللهم أشرف بي على ذوى الفقر والفاقة

فأشرف بي، فإذا هم شرذمة قليلون، لا أرى هناك ازدحاماً، ولا تنافساً،
ولا أرى لهم على الباب جلبة ولا صبايحاً، فعاهدته لا أوتر على الفقر
والفاقة شيئاً، مما أنا معه على هذا العهد، فليس من ساعه إلا وتأتي منه
كرامة جديدة

فلما عرف صدق الدعاء من تلقى والإيمان من تلقى كان أول ما ورد على من إجابة هذا الدعاء أن أسألك نفس بالكلية، وصب الملايق بين يدي مع اعراضى عنهم؛^١

قلت: يارب كيف الطريق إليك؟

قال لى: اترك نفسك وتعال،^١

قال الطواص: فاختصر له الطريق بألفاظ كلمة وأخصرها فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه^١ وكان أبو يزيد يقول

«رأيت رب البرية في النوم، فقلت: يارب كيف أجداك؟»

قال: فارق نفسك وتعال إلى... وقال أبو موسى الديلمي: سمعت أبا يزيد يقول:

توديت لى سرى فقبل لى: حزانتنا معلومة من المصلحة، فإن أردتنا فليلك بالذل والافتقار^١

وقال أبو يزيد:

وإذا أردت أن تطلبه فاطلبه فى رجوعك عما فوته^١ وقال - أبو يزيد -:

طلقت الدنيا علائقاً ثلاثاً لا رجعة فيها ثم تركها وصرت وحدى إلى ردى عز وجل، فتأدبه بالاستغانة

إلى ومولاى: أدعوك دعاه من لم يبق له غيرك^١ فلما عرف صدق

صفت: لى! هذا شيء مضمض به من بين حلقك؟

قال هذه الكرامة لا يتألف إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليها،^١

وأمل أبا يزيد فى طلبه ذلك كان يتأسى بسيدنا سليمان حين قال

«أرب اغفر لى وهب لى ملكاً لا يبنى لأحد من بعدى»^(١١)

وإذا كان الله قد استجاب لسيدنا سليمان، فإن أبا يزيد يعرف بأن أمر وصوله مسرّح تحت قانون عام هو:

«أن الوصول إلى الله لا يتأق إلا عن طريق إيتار الفقر إلى الله والفاقة والصر عليها والأئس بها»^١

سر الوصول إلى الله.

ولقد عمدت أبو يزيد عن هذا السر فى الوصول إلى الله غير مرة، من ذلك عن صيد قال: قال أبو يزيد:

«طلقت الدنيا علائقاً ثلاثاً، يتأق يتأق لا رجعة فيها، وصرت إلى ردى وحدى، فتأدبه بالاستغانة».

إلى أدعوك دعاه من لم يبق له غيرك^١

(١١) س: ٢٥

الدعاء من قلبى مع الإيأس متى كان أول ما أورد على من إجابة هذا
الدعاء أن أنسالى نفسى بالكلية، ونصب الخلائق بين يدى مع إعراضى
عنه

طريق العبودية:

والترم أبو يزيد طريق الفقر إلى الله والعاقة،

إنه طريق العبودية الصادقة، والإنسان لا يصل إلى الله إلا عن طريق
الذلة والانكسار، أما المتكبرون فليس لهم في الجنة مكان، ومكانهم النار
﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾^(١١)؟

ولقد أخرج الله إبليس من الجنة لتكبره وقال له:

﴿ما حظ منها مما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾^(١٢).

إن طريق العبودية هو الطريق إلى الله سبحانه، وسار فيه أبو يزيد
وانتهى به هذا الطريق إلى القرب:

ووصل أبو يزيد في القرب إلى درجة أن الشعور بالألوهية ملك عليه
سمعاً وبصره وكيانه كله، لقد كان قائماً في الله سبحانه وعبر وهو في هذا
شعور - عن شعوره في عبارات نفسية جميلة والاستفراق في الله حقاً

(١١) الترمذى: ٦٠

(١٢) الأعراف: ١٣

يجعل الإنسان رباتياً لا يتغير إلا ما يحبه الله، ولا يفعل إلا ما به رضا الله،
ولا يسير إلا في طريق الاتباع

كان موقفه من الله مستوقف المهيم.

واقه سبحانه يقول:

﴿قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم،
وأموال اقترفتوها وغمار نخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾^(١٣)
لقد طرق طارق بابك، وقال هاهنا أبو يزيد؟

صاح:

«إن أبا يزيد في طلب أبى يريد منذ أعوام فما رآه» يشير إلى ذهابه عن
الخلق إلى الخلق بلا رجوع!

وقيل له: كيف ترى الخلق فقال: به أراهم!

مقام الرجال:

وقيل لأبى يزيد: متى يبلغ الرجل مقام الرجال في هذا الأمر - قال: إذا
عرف نفسه، وقويت همته عليها!

(١٣) التوبة: ٢٤

وعد سمع أبو يزيد يقول:

«حسب المؤمن عقله أن يعلم أن بالله غنى عن عمله» وعن إبراهيم
الهروى قال سمعت أبا يزيد البسطامي يقول:

«غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء:

توهمت أني أذكره وأعرفه، وأحبه؛ وأطلبه، فلما انتهيت رأيت ذكره سب
ذكرى، ومعرفة سبقت معرفتي وعيته أقدم من محبتي، وطلبه لي أولاً حتى
طلبته»

الأدب مع الله:

ومن كلامه رضى الله عنه:

مددت رجلى في محرابي فهتف بي هاتف:

«من يجالس الملوك ينشئ له أن يجالسهم بحسن أدب»

وقال أبو يزيد: قال الله تعالى:

«إذا كان العالب على عبدى الاشتغال في جعلت نهمته ولذته في ذكرى،
ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وكنت مثالا بين عينيه».

الطريق:

قبل لأبي يزيد: عاذا بلغت إلى ما بلغت؟

قال: عملت أشياء:

أولها: اتخذته سبحانه معنًا، فقلت: إن لم يكفك ربك لم يكفك غيره في
السماوات والأرض! وشغلت لساني بذكره، وبدى بخدمته، كلما أعيت
جارحة رجعت إلى الأخرى.

الله:

وقال أبو يزيد: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بالله!

وقال: رأيت رب العزة في المنام فقال لي

«كل الناس يطلبون مني، غير أنك تطيبني»!

وقال - أبو يزيد: بك أدل عليك، وبك أصل إليك!

وقال: أمر الله العباد ونهاهم فأطاعوا، فخلع عليهم خلعة فاشتغلوا عنه
بالخلع، وإنى لا أريد من الله إلا الله! وقال: هذا فرحى بك وأنا أخافك،
فكيف فرحى بك إذا أمنتك!

وقال أبو يزيد: من سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهما يكلم
به الناس، ومن سمعه ليعامل الله رزقه الله فهما يناجى به ربه.

وقال إبراهيم الهروى: سمعت أبا يزيد يقول:

«رب أفهمنى عنك، فأبى لا أفهم عنك إلا بك»!

المصارف لا يجيب:

رسالة رجل فقال:

يا أبا يزيد. المارف يجيبه شيء عن ربه فقال:

«يا مسكين من كان هو حجابيه، أي شيء يجيبه»

وعد حدث منصور بن عبد الله قال: سمعت موسى يقول: سمعت أبي

يقول: بينما أنا قاعد خلفه، أبا يزيد يوماً إذ شق شفته ورأيت أن شفته

تخرق المصيب بينه وبين الله، فقلت: يا أبا يزيد رأيت عصاً، فإن

بالمسكين، وما ذاك المصيب؟

فقلت: رأيت شفتك تخرق المصيب حق وصلت إلى الله تعالى فقال

«يا مسكين إن الشفة الجيدة من التي إذا بدت لم يكن لها حجاب

تخرقه»

حكيم الخلق:

وقال أبو يزيد: خلق الله الخلق لإظهار قدره ودرجاتهم لإظهار حورده،

وأماهم لإظهار قهره وكبرهم لإظهار عظمتهم»

فعل الله:

وقال: التوحيد الرقيق، واليقين صرفتك إن حركات الخلق وسكناتهم
فعل الله»

لخواص:

وقد روى عن أبي يوسف عن أبي يزيد أنه قال:

«إن الله خواص من عباده، لو جمعهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا
بمخرج من الجنة، كما يستغيث أهل النار بالمخرج من النار»

الله وحسب:

وقال أبو يزيد: إن الله تعالى أمر المباد وبناهم فأطاعوه فخلق عليهم
سمة من حلمه، فاستطروا بالطلع عنه، وإن لا أريد من الله إلا الله!

وقال أبو يزيد: عند تسليان نفسي ذكرت باري النفس!

وقال: إن قه عبادة لو بدت لم الجنة بزيتها مع جمعهم عنه لضحو

هـ

وقال: عرف الله بوز صممه، وعرفت صمته بنوره!

وقال أبو يزيد: بك أول عليك، ومنك أصل إليك، ما أطيب راقص
إلغام منك على خطرات القلوب، وما أحل المنى إليك بالأرواح و
طرفات الميول، اللهم ما أحسن ما يمكن للملوك كنهم، ولا بالأحـ
رصمه من حيث لا تدركه العقول!

«إن من وفق للقرب منه، وهب له سبحانه ماقد ملكه

التصوف:

وستل أبو يزيد، متى يبلغ الرجل حد الرجال في هذا الأمر؟ فقال: إذا عرف عيوب نفسه فحينئذ يبلغ حد الرجال في هذا الأمر فهذا مبلغه، ثم يفريه الحق تعالى على قدر همته وإشرافه على نفسه الأمانة.

وقال أبو يزيد: بلغني أن الله تعالى يقول: من أتاني منقطعاً إلى جعلت له ملكاً لا يزول، ومن أتاني منقطعاً إلى جعلت إرادته في إرادته

الله:

وكان أبو يزيد يقول:

عبادة العارفين حفظ أنفاسهم مع معروفهم لأنهم تركوا في جنبه كل شيء.

ويقول: على الباب صوت وصياح واضطراب من شوق إلى صاحب الدار ومن خوفه.

وفي الدار سكون وتعظيم وهيبة وأدب لمعرفة صاحب الدار

وقال أبو يزيد: خصصت رجلاً وأكرمتهم، فأطاعوا فيما أمرهم، ولم يبلعوا ذلك إلا بك، وكانت رحمتك إليهم قبل طاعتهم لك

رصى:

وقيل له: أليس الله يعطى العباد الجنة برضاه؟ فقال إن أعطى عبد من عباد الله برضاه فما يرجو بقصور الجنة، وقيل له: من تأمرنا أن نصحب؟ قال: من إذا مرضت عادك، وإذا تبت تام عليك.

لصوفية لا يحبون:

وسمع أبو يزيد يقول: مررت إلى باب فلم أرتم ازدحاماً لأن أهل الدنيا حجوا بالدنيا، وأهل الآخرة شغلوا بالآخرة، والمدعين من الصوفية حجوا بالأكل والشرب والكديف، ومن فوقهم حجوا بالسماع والشواهد، نمة الصوفية لا يحبهم شيء من هذه الأشياء فرأيتهم حيارى سكارى.

الله والقرب:

وقال أبو يزيد، أدل عليك بك، وبك أصل إليك

وقال: أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه

وقال: أقرب الناس من الله أكثرهم شغف على خلقه.

وقال أبو نصر بن المروى: سمعت أبا يزيد يقول:

«رب أفهق عنك، فإني لا أهم عنك إلا بك»

والتوحيد:

وسئل أبو يزيد البسطامي عن التوحيد فقال:

هو اليقين، قيل له: فما اليقين؟ قال: معرفته إن حركات الخس
وسكونهم فعل الله عز وجل لا شريك له في فعائه فإذا عرفت ربك
واستقر فيك فقد وحدته، ومعناه: أنك ترى أن الله وحد لا شريك له و
فعاله وليس يفعل فعاله أحد.

أقربهم من الله:

وسمعوا أبا يزيد يوماً يقول: أقربهم من الله وسعهم على خلقه
ويقول أبو عيسى بن آدم بن أخى أبو يزيد قدس الله روحه أنه سمع
رجلاً يقول: الله أكبر.

فقال: ما معنى الله أكبر؟

فقال الرجل: أكبر من كل شيء..

فقال له: ويحك، حددته، أو كان معه شيء فيكون أكبر منه.

فقال له: ما معنى الله أكبر؟

فقال أبو يزيد: أكبر من أن يقاس باللاس، أو يدخل تحت القياس،

تدركه الحواس.

تكبير وتسييح:

وكان تكبير أبي يزيد - رضى الله عنه - إذا كبر أن ذر، غفقت المنوك
برأها وبأبك مفتوح لمن دعاك يا الله!

وكان تسييحه: سبحان من علا فتعالى، سبح - نحو - أعلى ومن قربه
ون دنو الأدنى، سبحان خالق النور، شكراً لخلق النور، سبحان خالق
النور، حكماً لخالق النور، سبحان خالق النور، وبحمده، سبحان خالق
نور وبحمده، سبحان خالق النور عز وجل حلاه.

الوصول عن طريق الأسماء

ويختتم هذا الفصل بما قال أبو يزيد عن أسماء الله تعالى:

يقول أبو يزيد الأسماء كلها أسماء الصفات، والله - الذات، الاسم
علامة المعنى، والمعنى علامة تعرف بها الذات، والأسماء علامة تعرف بها
الصفات، والصفات علامة تعرف بها الذات فمن أقر بالصفات ولم يقر
بالذات فليس بمسلم، ومن أقر بالذات قبل الصفات فيسمى مسلماً ويجب
أن يقر بالصفات، والدليل على ذلك: لو أن رجلاً قال لا إله إلا الرحمن
لا إله إلا الرحيم ثم يأتي على الأسماء كلها، لا يكون مسلماً حتى
يقول: لا إله إلا الله. ومن أقر بهذا الاسم الواحد وهو الله، فالأسماء كلها
حلق في هذا الاسم وخارج منها، يخرج من هذا الاسم معاني الأسماء

بها، وتدخل في هذا الاسم وجوه الأسماء، ولا يجزح هذا الاسم من اسم
 به، والدليل على ذلك أن الله تعالى تفرّد بهذا الاسم دون خلقه وأنه
 تفرّد خلقه في أسمائه كلها سوى هذا الاسم ويجوز أن يسمى الرجل عبد
 ورحيماً وكريمياً على معاني هذه الأسماء، ولا يجوز أن يسمى الرجل «الله»
 فإنه اسمه: لا إله إلا الله، وما دعا أحد الله باسم من الأسماء كلها إلا
 ولنفسه في ذلك نصيب، إلا «الله» فإن ذلك حظ الله من عبده.. ومعنى ذلك
 أن من طالب ربه برحمته فيقول، يا رحيم، ومن طالبه بكرمه فيقول
 يا كريم، ومن طالبه بجموده فيقول: يا جواد.. فكل اسم تحت معنى يدعو
 إلى نصيب الناس من أمر الدين والدنيا إلا «الله».. فإن هذا الاسم يدعو
 إلى وحدانية الله تعالى، وليس للنفس في هذا نصيب.. ومن أراد من الله
 عطاء يدعو الله بأسماء الصفات، ومن أراد من ذات الله يدعو الله بأسماء
 ذات.

الفصل الثامن

أبو يزيد والتصوف

إن اليقين الذي لا شك فيه هو أن الإنسان في هذه الدنيا إلى انتهاء،
 وأن الحق الذي لا حرية فيه أن أجل الله أت لا ماص،
 لقد حدد سبحانه الآجال

فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

والمؤمن يعرف أن في عقد إيمانه أن الحياة الدنيا فانية، وقد تكون
 ساعات، وقد تكون شهوراً أو سنين، ولكنها مهما طالت فإنها إلى زوال
 ويعرف المؤمن قول الله تعالى

﴿والآخرة خير وأبقى﴾^{١١}

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« تسمى بالموت عبيرة »

ويعرف المؤمنون أن الإنسان مجزئ بقسله : إن حبراً فخير، وإن سز
مرا، وأن الأمر كما يقول الله تعالى :

﴿ وكل إنسان ألغناه طائره في عنقه، ونفخ له يوم القيامة كتاباً يذ
مشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ (١)

وأنه :

﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾

ومن أدق أوصاف الشعور الصادق تجاه كلمة الله الأخيرة هذه :
حينما سمعها أحد الصحابة قال :

﴿ حسي ألا أسمع غيرها ﴾

ويعرف المؤمنون أن العبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من
حفر النار.

ويعرف المؤمنون - مع كل ذلك - أن نعم الله على الإنسان التي
لا تحصى ولا تعد تتطلب الشكر : وشكرها إنما هو استعمالها في مرضاة
سبحانه، وشكرها - حينما يؤدى - يديها ويزيدها

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

وكان من الواجب - إن - أن يسير المؤمنون في الطريق الذي رسمه
الله تعالى للمؤمنين، وأخذ العهد عليهم في عقد إيمان أن يسيروا فيه،
وخصوصاً لأنهم يعلمون

١ - أن هذا الطريق الذي رسمه سبحانه للأمراد ورسمه للجماعات
هو طريق معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما دام
طريقاً معصوماً فإنه لا يتأق لعاقل أن يتركه ليسير في طريق خطة البشر
الذين ليسوا بمعصومين

٢ - وبما لا شك فيه أن الاحراف عن طريق الله إلى الطريق
البشرى خلل في الإيمان، وقد وصف الله الذين يسبرون فيه بأقسى
ما يوصف به الإنسان، إنه سبحانه يقول في حق الذين لا يحكمون
بما أنزل في أنفسهم وفي أسرهم وفي مجتمعهم

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (١)

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٢)

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (٣)

ويقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في

(١) المائدة ٤٤

(٢) المائدة ٤٤

(٣) المائدة ٤٥

(٤) الإسراء، ٧

(٥) الإسراء، ١٢

وكانوا أقرب الناس من درجة النبوة، وفي ذلك يقول رسول الله صل

الله عليه وسلم هذه الكلمات البسيطة: ^٤

وأقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد:

أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد

فماعدوا بأسانفهم على ما جاءت به الرسل»

وساروا - هؤلاء العلماء - ماصحين للمحكاه وللرعية. كانوا مهابحين

: هداية للأوساط المظلمة، ومهابحين هداية للشعب وكانت مهنتهم بيان

شرح الله هؤلاء وأولئك، وقد نفضوا أيديهم من دنيا الملوك وأموالهم،

وعاشوا من كسب أيديهم، فلم يبق في وجهه حريتهم مال الملوك ولا دنياههم،

لكنوا بذلك مثلاً كريهة للإغلاص لله وللرسول، وقد قاموا بالدعوة خير

علم، وحققوا ما رسه الله سبحانه للدعاة، وبيته لهم في القرآن الكريم

ومن ذلك ما يقوله سبحانه:

«وقل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»^٥

والبصيرة هي التردد من العلم الرباني.

فتردوا من أجل ذلك بالعلم قرآناً وسنة، فكان منهم أمه ^٦ العسرى.

زمره المؤمنين في المدينة، وتفتح العلم في الضحى وليس

كان منهم كبار المعهود..

(١٧) يوسف ٨

بمنهم حرجاً ما قصبت ويسلموا تسلياً»^{١١}

حكيم رسول الله صل الله عليه وسلم في حياته، وتحكيم سنته بعد

انتقاله إلى الرحمن الأعلى، وتحكيم رسول الله صل الله عليه وسلم في حياته

وبعد عاتقه هو تحكيم الرعي المنزل المصوم من قبل الله تعالى

وسارت الأمور على هذا الوضع - رعاية حقوق الله في النفس والأسرة

والمجتمع - فترة من الزمن..

ثم بدأ نوع من الانفصال بين الملاك المظلمة والملاك، الملاك؛ ملكاً أو

رئيس جمهورية، وأرخ هذا النوع من الانفصال - وهو لم يكن ثامناً - نوعاً

من الرأى في تطبيق الدين في النفس والأسرة والمجتمع، فذهب طائفة من

العلماء للتبشير والوعظ والإرشاد حتى تستمر راية الدين خفاقة في النفس

والأسرة والمجتمع، وكان هؤلاء العلماء يمثل فيهم حقيقة، الغلالة لرسول

الله صل الله عليه وسلم، وصديق فيهم قوله

«وان العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً

وزيلاً وورثوا العلم، فمن أخذ به حفظ ووفى»

وظفه الورثة هي وراثة الدعوة ووراثة الهداية.

ولقد استدرجوا النبوة بين جسيهم كما يقول رسول الله صل الله عليه

وسلم، وساروا بتورمها مهدين هادين في مختلف الأجرأ.

(١٧) لساء: ٦٥

لا بد من الله بوصف الدعوة:

ولا بد من إخلاص لله وحده

ولا بد من لمرض لحمل بحسب مقتضى حال المدعوس

وهذه لصمات كلها سنكملها دعاه لإسلام لأول

ولكن كثير من الحكام وكثيراً جداً من طلابهم، بل بعض أول

الغيب من دوى السهوات والرعات كانوا يفتقون درعاً هؤلاء له
وإنه كما يقول سبحانه:

﴿وركدك جعلنا لكل نبي عدواً من لمرس﴾^(١١)

هؤلاء الأعداء من المبرزين، ماذا كانت تزعمهم التي توحدهم؟

وتقودهم؟ إنها شهواتهم، لمرغون الذين تحدث عنهم القرآن كـ

بأمرهم الدعوة بالمضيفة فيأتون الرذيلة، يقول سبحانه:

﴿وانبع الذين ظلموا ما أتفوا فيه وكانوا عرس﴾^(١٢)

وقال:

﴿وما أرسلنا في نوبة من مدبر إلا قال -
كانو ردى﴾^(١٣)

(١١) (٧)

(١٢) القرآن: ٣٩
(١٣) هود: ١١٦

وما رسمه الله للدعاة أن تكون خشيتهم له وحده، يقول سبحانه:

﴿والذين يطعمون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى

بالله حسيباً﴾^(١٤)

كفى به حسيباً سبحانه - لى يخشاه ولا يخشى إلا هو تعالى

وقى هذا يقول: أبو ريد هذه الكلمة لنفسه «من دعى لإصداق

ظهار على وامتلاً به يحتاج أن يكون معه صدى 'الصدانة' وهو يساق

ل هذا مع آياته القرآنية الكريمة.

ولأمر الثالث، مع العلم والإخلاص الذي يشمل في خشية الله وحده

هو أسلوب الدعوة.

﴿وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وحادهم بالى هى

أحسن﴾^(١٥)

فزعون.

ويقول الله تعالى موسى وأخيه هارون عليها السلام حينما أرسلها إلى

(١٤) الأعراب: ٢٩

(١٥) الصل: ١٧٥
(١٦) طه: ٤٤

ولكن حتى في الجو طائفة من العلماء حافظوا على أمر الله ورسوله علمه
 نسبه وعلوه الدعوة ولي يجعل الله الماء من دعاة إليه، ويقول رسول الله
 صل الله عليه وسلّم: «آيا تزال طائفة من أمتي طامرين على الحق
 لا يضرهم من حدتهم، ولا من حالهم إلى أن تقوم الساعة» وهو حديث
 يلا لعن أملا، ويسك الأصل في لعن، والصفة بأن الحق يجعله طائفة عن
 طائفة إلى أن تقوم الساعة.

وهو الله سبحانه أن تقوم من بين هذه الطائفة صفوة هي صفوة
 لصفة تجردت إلى الله سبحانه في ليله، وفي القول، وفي العمل، فكانت
 إخلاصاً لا يتوهمه شقاق، والراثة قولهم وطرقوا بابها عن طريق المودية
 مفتوح لهم، قبلهم في رحابه، وأما قوله بمرور، أممهم وأحمره ورضى عنهم
 ورضوا عنه، لم يتختم الدنيا بزجرها، ولم تهره قصور هارون لرسوله،
 ولا رياض المؤمنين، ولا مواك البرامكة. لقد كان هداه الله تعالى
 قرآن إلى ربك المنتهى^(١١)

وقدمتهم رسول الله صل الله عليه وسلم:
 فقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
 الآخر وذكر الله كثيراً.

حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا، ووزنوها قبل أن يتحاسب لهم ميزان
 الحساب يوم المرضى الأكبر.

(١١) الحج، ٤٢

وإن
 في جوبدا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينها لأسرامهم بالفضيلة فأبوا^(١١)
 ولا نفسقوا فيها فتح عليها القول فدمرنا ما تدمر^(١١)

وأعد الملوكة، وأعدت بطائهم تنكر في كريمة التخاص من هؤلاء
 العلماء، وكانت الطرق متعددة

طريق الرعية.

لقد استعمل الحكام طريق الرعية، فكان المصعب وكان التكيل، ولكن
 ذلك لم يكن حاسماً بالنسبة لكثير من العلماء الذين آثروا الله ورسوله

طريق الرعية:

ولما رأى الملوكة ذلك اغتموا مع طريق الرعية - طريق الرعية فكانت
 المناصب، وكان المال، وكانت الدنيا، ومن لم تته الرعية أطمعت الرعية،
 ومن كان فقيراً جذبته المال ومن كان غنياً جذبته الرياسة، وجذبته
 المناصب، وتعلم العلم كثير من الناس من لا هم لهم إلا دنياهم، وساروا
 - بعلومهم - في ركاب الأمراء والملوك وتطلب السلطة على الأشراف،
 وتغلبت المداومة على الإخلاص، وكذلك كان أمر التاريخ في كل الحضارات
 والموال.

(١١) الإسراء، ١٨

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون - إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(١)

إنهم الصوفية!

ما هو التصوف؟ وما هي سمات الصوفية؟

إن أبا يزيد يحدثنا في هذا حديث تجربة.

سأل رجل أبا يزيد عن التصوف فقال:

طرح النفس في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، واستعمال كل خلق سني، والنظر إلى الله بالكلية! وهذا تعريف للتصوف، ورسم لصفات الصوفية من حيث جو نفوسهم وقلوبهم وأخلاقهم، وغايتهم الأخيرة هي الله!

وقال أبو زيد مبيناً مكانة الصوفية:

«الصوفية في حجر الحق».

يعني بذلك أنكم تنغمسون دائماً فيها يجب، بعيدون باستمرار عما ينهى

عه

ويبدأ طريق الصوفية حسياً يرى أبو يزيد، وحسبها يرى من كل

الصوفية - بالتوبة الصادقة.

(١) النجم. ٨٨٤٨٧

والتوبة ألوان.

منها توبة من المعاصي وهي مرض، وبعض الناس يظن أنها التوبة لا غيرها فلا يؤذ إلا إذا كانت معصية.

ولكن الأمر غير ما يظن هؤلاء، فهناك التوبة من الغمّة وهناك توبة العبودية، وتوبة الطاعة

ويقول أبو يزيد:

«توبة المعصية واحدة، وتوبة الطاعة ألف توبة» وأبو يزيد في هذا يتابع القرآن الكريم، يقول سبحانه:

﴿إن الله يحب التوابين﴾^(١)

إنه سبحانه لم يقل: إن الله يحب التائبين، وإنما قال (التوابين) أي الذين يكثرون من التوبة، يتوبون حيث لا ذنب، يتوبون توبة عبادة، وتوبة عبودية!

وإذا صدقت التوبة استبعت المجاهدة، وقد جاهد أبو يزيد نفسه جهاداً يرضى الله ورسوله، إنه يقول

«أقمت عشرين سنة، أكابد المحاهدة، وأكفح المراقبة ولا أجرؤ أن ألبس مرقمة، ولا أنظاها بالطريق».

(١) البقرة: ٢٢٦

ومن المجاهدة أن يركز الإنسان كيانه في اتجاه واحد هو الاتجاه نحو
ربه! إنه يقول:

«طوبى لمن كان همه هماً واحداً، ولم يشغل قلبه برأت عيناه، وسب

من عرف الله في الطريق:

«ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه، وإذا صدقت الثرية
دعت إلى العبادة والعبودية، وأن العبادة إذا لم تتسم بالعبودية فإنها
لا تكون كاملة وللعبودية علامات هي من علامات الصوفية يقول
أبو يزيد: من لزم العبودية لزمه اتقان:

«يأخذه الخوف من ذنبه، ويفارقه العجب من عمله»
ويقول

«لا يكون العبد عاملاً على معنى العبودية حتى يكون إرادته وأهـ
وسهونه تابعة لمحبة الله».

ولقد سئل أبو يزيد: بما نالوا المعرفة؟

فقال:

«بتصحيح ما لهم، والوقوف على ما له».

ويصف كاتب المقالة عن أبي يزيد - في دائرة المعارف الإسلامية شعور
أبي يزيد في رحلة المجاهدة هذه فيقول:

«وكان شعوره بجلال الله يملأ شغاب نفسه مقترناً بشعور من الخشوع
والخشية لله حتى ليحس في حضرته بأنه زنديق يكاد يجم بإلقاء زئار
الجوس

وكان شوقه ينصرف إلى مجاهدة نفسه مجاهدة دائية أو على حد تعبيره

«أنا حداد نفسي» حتى يمررها من جميع المحجب التي تحول بينه وبين
الوصول إلى الله.

وهو يصف هذه المجاهدة وصفاً ممتعاً جداً يكشف فيه عن نفسه بأقوال
فيها تشبهات غاية في العظمة، فالديا والزهو، والعبادات، والكرامات،
والذكر، بل المقامات، ليست في نظره غير حجب تحجبه عن الله. ولقد
استفاض أبو يزيد في بيان سمات الصوفي الذي يسميه بالعارف، والعارف
هو الصوفي، وإذا ما وصل السالك إلى التوحيد الحق فقد أصبح صوفياً،
وأصبح عارفاً أما إذا لم يصل إلى التوحيد الحق فإنه متصوف أو سالك، أو
مريد، وكلها تتقارب في المعنى

المعرفة أقسام:

والمعرفة فيها يرى أبو يزيد أقسام:

معرفة العوام، ومعرفة الخواص، ومعرفة خواص الخواص. فمعرفة

لعوام معرفة العبودية، ومعرفة الربوبية، ومعرفة الطاعة، ومعرفة المعصية، ومعرفة العدو والنفس. ومعرفة الخواص معرفة الإجلال والعظمة، ومعرفة إسان والمنة، ومعرفة التوفيق

وأما معرفة خاص الخاص: فمعرفة الأنس والمناجاة، ومعرفة اللطف ولتظلم، ثم معرفة القلب، ثم معرفة السر. ولا تتنافى كل واحدة من هذه الأتواع مع الأخرى ولا تتعارض معها وجميعها ضرورية للسالك وللعارف

سمات الصوفي:

وعن سمات الصوفي يقول أبو يزيد:

«من ترك قراءة القرآن، والتشبه بالجماعات، وحضور الجنائز وعادة المرصى، وادعى هذا الشأن فهو مدح».

علامات العارف:

ويستفيض أبو يزيد في بيان علامات العارف، ومن ذلك أنه قيل له

ما أعظم آيات العارف؟

فقال: «ان تراه يؤذئك ويشاركك ويمازجك، ويباعك وقلبه في ملكوت قدس، هذا أعظم الآيات».

وقال إبراهيم المروري: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول وسئل

ما علامة العارف؟ قال:

«ألا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بعيره»

وقال أبو يزيد:

«علامة العارف خمسة أشياء».

أوله: يقيم على باب ربه لا يرحع عن باب له

ويقبل إليه لا يلتصق إلى شيء يحبه عنه

ويكون دورانه وسيرانه في مجرة أنس ربه وحول مناجاته لا يرضى من نفسه أن يشتغل بشيء دون الله عز وجل، ويكون فرجه من الخلق إلى الخلق، ومن جميع الأسباب إلى ولي الأسباب.

وقال أبو يزيد: «علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد، ومبيته حيث أدرك، وشغله بربه».

وقال أبو يزيد:

«أدنى ما يجب على العارف أن يجب له ما قد ملكه»!

وخوله

«لا يشكو قلب العارف، وإن قطع بالمقراض، ولا يئس منه البيت، ولا يأمن من مكره وإن نودي بالغفران، وحتى لو مشى على الماء والهواء، ولا يستريح من كده ولو جلس على السرير ولا يعمل عنه ولو كان في السوق، ولا يطمئن بدونه في المنك في السماء»

«ضحكت زماناً، وبكيت زماناً، وأنا الآن لأضحك ولا أبكي».

وقال:

«العارف لا يكدره شيء، ويصفو له كل شيء».

وقال:

«نسيان النفس ذكر بارئ النسم»

ويقول سادتنا الصوفية:

«الطرق إلى الله كثفوس بنى آدم»

ويحثون بذلك؛ أن الطرق إلى الله كثيرة متعددة

ويقول تكلمة لذلك: «والتوحيد واحد»

أى أن الهدف الذى يحسون إليه إنما هو التوحيد.

ويقولون متناسقين بعضهم مع بعض:

«بلؤه معرفته... ونهايته توحيده».

ويقول أبو يزيد:

«إن أهل المعرفة بالله اجتمعوا في الأصول على معرفة الواحد ثم
فأوتوا بعد اجتماعهم على مراد الله فيهم».

ونختم هذا الفصل بهذه الكلمة المشرفة لأبى يزيد، إنه يقول:

«يستزيد أبو يزيد، ولا مرید على التوحيد»!!!

«إذا سكت العارف يريد ألا ينطق إلا عند معرفة، وإذا غصص
يريد ألا يفتح إلا عند لقائه، وإذا وضع رأسه على ركبته يريد ألا يرفع إلى
سبح في الصور من شدة الأتس به» ومن الأمور التى تدعو إلى التأمل
أن كبار الصوفية يصلون إلى الولاية التى لا تتقيد بالصفة

ولقد سئل الشبلى رضى الله عنه عن الصوفية: لما سموا بهذا الاسم
فقال: لشائبة يميت فيهم من نفوسهم، ولو ذلك لما لانت بهم الأسماء،
ولما التصقت بهم

وفي هذا المعنى وحوله يتحدث أبو يزيد:

نقد قيل له: كيف أصبحت؟ قال:

«لا صباح لى ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة ولا صد

لى

وكان رضى الله عنه يقول: إذا سئل عن المعرفة،

«للمخلق أحوال، ولا حال للعارف لأنه محيى رسومه، ومفتى حوربه
هوية غيره، وغيبى آثاره لآثار غيره» وسئل - أبو يزيد - عن درجة
العارف فقال:

«يس هناك درجته بل أعلى فائدة العارف وجود ربه» وقال

أبو يزيد

الفصل التاسع

الصّوفية والتوكل على الله

إننا في هذا الفصل نذكر رأى أبي يزيد في التوكل ولكننا نتحدث
مستفيضين في معنى التوكل في القرآن وفي معناه عند الصوفية على وجه
لعموم؛ وذلك أننا حينما نذكر معنى التوكل في الجوه لقراني وفي الجوه
الصوفي، فإنما نشرح معنى التوكل عند أبي يزيد.

لقد كان أبو يزيد مجاهدًا بالسيف في ميادين القتال، وكان مجاهدًا في
لمجتمع داعيًا إلى الله، وكان مجاهدًا لنفسه حتى تنزكى، فهل يتناقى كل ذلك
- خصوصًا الجهاد بالسيف - مع التوكل؟

وما هو معنى التوكل في الحقيقة؟

يقول أبو يزيد

«حسبك من التوكل ألا ترى لك ناصرًا غيره. ولا برزقك رازقًا غيره.

ولا لعملك شاهدًا غيره.

وما يلي كله شرح لهذه الكلمات:

يمكننا أن نعرف الإسلام بمجموعة من التعاريف تتناسق وتأنس، ويشرح بعضها بعضاً.

يمكننا أن نعرفه أولاً بهذا التعريف الجميل الذي عرفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن الإسلام ما هو؟ فقال «أن يسلم الله قلبك. وأن يسلم المسلمون من لسانك ويذكرك». ويمكننا أن نعرفه بالتوحيد، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^(١).

ويمكننا أن نعرفه بأنه المهوم لقوله تعالى: ﴿إدك نعبد وإياك نستعين﴾.

ويتحدث أحد رجال الفكر الإسلامي عن القرآن الكريم فيقول إن سره في فاتحته، وسر القامحة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ويمكن أن نعرف الإسلام بأنه إسلام الوجه لله، والله سبحانه وتعالى يقول.

﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾^(٢)

(١) الأبيات : ٢٥

(٢) النساء: ١٢٥

وكل هذه التعريفات ستق عنها التوكل، بل إن التوكل على الله من أجزائها لا يفك عنها..

لقد أمر الله سبحانه وتعالى به، جاءه منه صفة لا تمكن عن الإيمانا

﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾^(١).

ويأمر به سبحانه أمراً مطلقاً كل مؤمن فيقول:

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾^(٢).

وللتوكل صور كثيرة منها صورة التفويض:

وصورة التفويض هذه يحدث عنها القرآن الكريم بمناسبة قصة د. مؤمن صادق الإيمان، وقف ناصحاً في وجه الطغيان والجبروت، يدعو الله، ويشير بالتعاليم الصادقة وينذر ويهدد بالعقاب في أسلوب لا يخشى في الله لومة لائم.

تلك هي قصة مؤمن ال فرعون

ونذكر قصته متحدثين عن أطرافها

لقد وقف فرعون - في قومه - قائلاً:

(١) يوسف، ٦٧

(٢) التوبة ٥١

﴿ وفي أقتل موسى ﴾.

قصة موسى:

﴿ إن عدت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾
وعندئذ وقف مؤمن آل فرعون ، وكان يكتم إيمانه قائلاً .

﴿ انسلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم، وإن يك نادياً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصيكم بعض لذي يعدكم ﴾
وعد أنذرکم بعذاب فإن هذا العذاب لا بد أن يصيبكم..

قال لهم في منطلق قوى:

﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله
إن جاءنا ﴾

وهنا رأى فرعون أن الموقف قد تأزم، وأنه لا بد من أن يتدخل، فقال
لعومه

﴿ ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيلاً ﴾ الرشد.

وسارع مؤمن آل فرعون يستفيض في الحديث، مهدداً ومنتزهاً في
أسلوب منطقي قوى، وكان مما قال:

﴿ يا قوم أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنا هذه الحياة الدنيا متاع
ورب الآخرة هي دار القرار، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها، ومن

عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يردفون فيها
بغير حساب ﴾..

ثم انتهى في الحديث بأن قال:

﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير
بالعباد ﴾

وكانت النتيجة ما قصه الله سبحانه بقوله:

﴿ فوقاء الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾^(١)

ومن كل ما تقدم ننتهي كما بدأنا بالقول بأن التوكل جره لا يتجزأ من
الإيمان، والصورة المثلى فيه هي صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
كان إمام المتوكلين، وكان إمام المناصين.

ولقد سئل يحيى بن معاذ- وهو من أئمة الصوفية- متى يكون الرجل
متوكلاً

فقال: إذا رضى بالله وكليلاً.

ويتحدث القرآن عن بعض الظروف التي ظهر فيها أن المؤمنين
لصادقين هم الذين يتخذون الله وكليلاً، يقول سبحانه وتعالى عن المؤمنين
في غزوة أحد:

(١) عامر ٢٦-٢٥

فإنهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادوا
... حسينا الله ونعم الوكيل^(١).

مد ... النتيجة؟

إياها ... الله سبحانه عنها بقوله:

﴿عائفة بئمة من الله وفصل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله
والله ذو عذاب عظيم﴾^(٢)

ومن هذا ... إمامهم؟

﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾

ما هي مسهم؟

إن مشركي مكة لما أصابوا من المسلمين يوم أحد أخذوا في العودة إلى
مكة، فلما استمروا في سيرهم ندموا:

لم لم يتمموا على أهل المدينة ويحملوها الفيصلة؟

وكان من كلامهم: لا محمدا فتلتهم، ولا الكواعب أردفتهم بنسبنا صنعت
ارجعوا وأرادوا العودة إلى المدينة.

(١) آل عمرا ١٧٣

(٢) آل عمرا ١٧٤

ولكن أبا سفيان لم يبتس يوم بدر ولم يسس أن الفتنة الفليله يوم بدر
علت ثلاثة أمثالها مع الوفرة العدة في الكثير، فأحب أولا أن يعجم عود
لمسلمين، وكان من المصادفات أن مر به ركب من عبد القيس فقال: أين
ريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد لميرة.. قال: فهل
نسم ميلفون عى محمدا رسالة أرسلتكم بها إليه، وأحمل هذه لكم غدا زبيبا
بمكاظ إذا وافقتموه؟ قالوا نعم. قال إذا وافقتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا
السير إليه وإلى أصحابه لتستأصل يقينهم. فمر الركب برسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يخمره الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان
وأصحابه، فقالوا: حسينا الله ونعم الوكيل

قالوا ذلك واستعدوا مباشره للقتال من جديد، من كان مجروحا ضمد
حرحه، ومن كان قد كل سيفه أحده، من كان أمره متفرقا في نفسه أو
ماله أصبح أمره جريما... واستعدوا خيرا... المعركة بكل ما يملكون من
وسائل.

وكان أمر سفيان يطار بجة ... وما تحفته من صدى، ورجع
واحد من وفد عبد القيس يقول لأبي سفيان:

لقد رأيتهم كالأسد الموتورة شربنة عن الأخذ بالثأر.

ولما سمع أبو سفيان ذلك أحد في عريته مكة طلبا للسلامة والتوكل
- إذن - والمتوكلون يتخفون لأ... يستعدون كأكمل ما يكون
لاستعداد، وأدق ما يكون الاستعداد.

بعد فإن الإمام لقشيري - من أئمة الصوفية - يقول ،
و علم أن التوكل محلله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب
يعني تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فيتعديره،
وإن اتفق شيء فيتيسره.

تقدير من قبل الله تعالى؛ وإذا آمن الإنسان بذلك - ولا بد أن يؤمن
به فهو متوكل

والتوكل يتخذ الأسباب اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويتلون التوكل بحسب درجاته، ويأخذ اسماً تبعاً لدرجته، فيكون
«توكلاً» ويكون «تسلياً»، ويكون «تفويضاً».

والتوكل بداية هذا المقام الروحي، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية.
إن كان للتقنة في الله مهابة

ومع ذلك، فإن كلمة «التوكل» تطلق على كل درجاته، وتستعمل في كل
بواعه

ومن التوكل الذي يتنون بلون التسليم ما يحدثنا به القرآن الكريم في
قوله تعالى:

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق
نه ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسلياً﴾^(١).

لقد زادتهم رؤية لأحزاب - الجيوش الجاررة التي أتت لتهدم المدينة
وتقتل من فيها - إيماناً وتسلياً.

ماذا فعلوا؟! لقد سهروا ليلاً، وأقاموا نهاراً من وراء الخندق يرقبون
حركات العدو، ويستعدون لكل شأن من شئونه لقد لبسوا دروعهم ،
وتسحرو سيوفهم، وأقواسهم، وسهامهم، لقد أحكموا كبر أمر من أمور
الحرب بحسب طفتهم... ولكن الأمر فيها يسلمون به، لله كله لأنه سبحانه
في إيمانهم.

إليه يرجع الأمر كله
وقوله تعالى.

﴿وما زادهم إلا إيماناً وتسلياً﴾

يعني إيماناً قلبياً، وتسلياً نفسياً

وإن من الملاحظات التي لا تخفى على قارئ القرآن أن آية الأحزاب
... سبقها مباشرة قوله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

ولقد تابع المؤمنون الرسول صلى الله عليه وسلم في توكله، وانبعوه
مسلمين في استعداده وتأهبه. لقد اتخذوه أسوة .

ويقول الإمام سهل بن عبد الله - من أئمة التصوف - هذه الكلمات الحمسة حملاً الصادقة حقاً:

«التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم، والكسب سنته، فمن بقى على حاله فلا يترك سنته».

ويقول:

«من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان».

أما كيف عرف سهل نفسه التوكل؟ فإنه قال:

التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد.

وهي كلمة نفيسة، الاسترسال مع الله على ما يريد في كل ما أراد سبحانه: في الجهاد، في الضرب في الأرض طلباً للرزق، في التزود من العلم، في حسن الخلق.

إنه الاسترسال مع الله على ما يريد، وهذا يقتضى أن يسكن الإنسان إلى النتائج بعد أن يكون قد اتخذ الأسباب بقدر طاقته، ويقتضى أمراً آخر هو: الابتعاد عن كل مالا يريد سبحانه.

وبعد: فإن هذا التعريف لسهل رضى الله عنه يتناسق مع تعريف الإمام حمدون القصار - من كبار الصوفية - حيث سئل عن التوكل فقال:

التوكل هو الاعتصام بالله تعالى.

بأنه الاعتصام بالله تعالى في اتباع أوامره، وهو الاعتصام بالله تعالى في اجتناب نواهيه، وهو الاعتصام بالله تعالى في الحركة وهو الاعتصام بالله في النتائج.. أى السكون إليه في كل ذلك مع السكينة فيها يتعلق بالنتائج.

وبعد: فإنه إذ توكل الإنسان على الله سبحانه، فإن ثمره ذلك أمران:

الأمر الأول: هو كفاية الله للمتوكل، يقول سبحانه:

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾^(١).

الأمر الثانى: هو حب الله له، يقول سبحانه:

﴿إن الله يحب المتوكلين﴾.

(١) الطلاق: ٣

الفصل العاشر

أبو يزيد وَالْحُب

الذين يدعون المحبة لله ورسوله كثيرون، والصادقون منهم قليلون. وقد كان أبو يزيد من هذا القليل النادر، لأنه كان يسير على السق للقرآن في حب الله ورسوله.

ولقد وضع القرآن مقياساً لهذا الحب، يقول تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(١).

إن الحب في الجوار الإسلامي اتباع.

اتباع في العقيدة، واتباع في السلوك.

وقد وجد قوم تركوا العمل، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كذّبوا، وقال صلى الله عليه وسلم.

(١) آل عمران: ٣١

« لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ».

ومن أحمل ما كتب الكاتبون في الحب ما كتبه أبو يزيد شارحاً الصورة
لإسلامية في سموها وجلالها وسبحانه فقد حدث
إبراهيم بن محمد الخواص قال: سمعت أبا يزيد السعدي يقول
«ظاهر الصدق وباطنه سواء»

ولقد اشترك الإيمان والحب في قلب الصديق، فكليهما ازداد الإيمان ازداد
الحب في الله، قال الله تعالى:

«والذين آمنوا أشد حُباً لله»^(١).

فإذا مال ذلك رمي قوس الدنيا بالفرقة، وقطع حلقة الطمع بسكين
الإيمان، وألجم نفسه بلجام الخوف، وساقها بسوط الرجاء، ولبس قميص
الصبر، وتردى برداء التصابر، واستوى عنده المنع والعطاء، والشدة
والرحاء، والذم والشه، مسقط من ظاهره وباطنه التصنع، فليس عنده فرق
بين الدائق والدينار، لعلمه أنه لو يودك له في الدائق كان أعظم بركة من
الدينار!

فإذا كانت هذه حاله قالت الجنة اللهم أدخل هذا العبد (بين) ساكني،
فكانت الجنة طالبة له دونه!

(١) البقرة: ١٦٦

وإذا رأته النار على هذه الحالة علمت أن بورد نظمي شررها فتعوت
لنار منة!

ولو عرج بذلك العبد أعلى عليين لكان شكره ذلك الشكر الذي كان
في أعظم البلاء!

ولو أنزله الله من أعلى العليين فأسكنه الدرك الأسفل من النار لكان
شكره ذلك الشكر الذي كان في أعلى العليين.

ولأبي يزيد كلمات في غاية الجمال والنفاسة تعبر عن شعور الحب عنده
متمشية مع الجوهر القرآني الكريم، إنه يقول:

«لا يكون العبد محباً لمخالفة حتى يبذل نفسه لله في طلب مرضاته سرّاً
وعلانية، ويعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو».

وقال:

«من أُرده وفقه، ومن أحبه قربه»

ويقول

«فحبك فرض كيف لي بأدائه ولست لعرض ما حبيت تبارك»

وتقول - وكأنه في ذلك يشرح القرآن

«اطلب هواه في خلاف هواك، ومحبتته في بعض نفسك، فإنه معروف

عند مخالفة الهوى، محبوب عند بغض النفس»!

يربط أبو يزيد بين الحب والمعرفة، ويجعل المعرفة من أسباب الحب

سور

«بحال أن تعرفه ثم لا تحبه».

إدما ما كانت المعرفة، فكان الحب، فإن الأمر يصبح كما قال أبو يزيد:

«إذا جاء حب الله يغلب كل شيء، لا حلاوة للديار، ولا حلاوة
للاخرة، الحلاوة حلاوة الرحمن».

أما كمال العارف - فيما يرى أبو يزيد - فإنه:

«احترقه بحبه لربه».

وقيل أن تنتهي من الحديث عن أبي يزيد وحب الله ورسوله تقف وصفه
موضح فيها في شيء من التفصيل الجو الإسلامي في هذا للوضوح حتى
يكون واضحاً أمام الصوفية موقف الإسلام من ذلك، يقول الله تعالى
﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
اقتربتموها وتجاره يحشونكم سادها ومسكنها ترضونها أحب إليكم من الله
ورسوله، وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي العموم
الضالين﴾

وفي معنى الآية الكريمة يروي الإمام البيهقي رضي الله عنه عن
عبد الله بن هشام قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ
بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل

شيء إلا من نفسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب إليه من نفسه؛ فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من
نفسى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر».

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: «الآن يا عمر وقد صد
الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليك من نفسك فقد استقامت أمور
الإيمان عندك وصرت إلى ما أحب الله ورسوله، ومحبة رسول الله صلى
عليه وسلم تتضمن - كشرط أساسى جوهرى - اتخذه صلى الله عليه
وسلم قدوة في السلوك والعمل والدرجة الجوهرية في الندرة به صلى الله
عليه وسلم إنما هي متابعتها في إسلام وجهه لله سبحانه وتعالى، لقد باع
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وماله لله سبحانه وكان أول البائعين،
وكان أمثل البائعين، وحقق بذلك، وحقق أصحابه ومن تبع هديه متأسين به
- قول الله تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة
والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾^(١) لقد اشترى في عقد الإيمان النفس
والمال بشمن هو الجنة فإدما يحل المؤمن نفسه في سبيل الله فقد أحل بعه
الإيمان، وإذا بخل بماله في سبيل الله فقد أخل بعهده الإيمان

وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذن إنما هو إيتار ما يحب واجتماع

(١) التوبة: ١١١.

هدى والعمل بسنته في الإيجاب وإيثار كل ذلك على الآباء والأبناء وغيرهم بما يحبه الإنسان من أشخاص أو من أشياء وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

حسب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه إلى صفات كريمة سامية عليا مثلت فيه صلى الله عليه وسلم طيلة حياته، والآية الكريمة والأحاديث السريفة التي رويناها تدل كلها صريحة على أنه إذا تعارضت أمور الدين مع المصلحة الشخصية أو مع أمور الدنيا فإنه يجب على المؤمن أن يؤثر أمور الدين على غيرها.

يقول الإمام الرازي: «إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وبين جميع مهمات الدنيا وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا».

أما بعد فيقول صاحب الكشاف عن الآية الكريمة التي صدرنا بها هذا الحديث ما معناه:

وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنمي على الناس ما هم عليه من راحة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فليتنصف أروع الناس وأنقاهم من نفسه، هل يجد عنده من اتصل في ذات الله وشبه على دس الله ما يجعله يؤثر دينه على الآباء والأبناء والأخوات والعشائر والمال

والساكنين وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله؟ أم أن الشيطان يخويه من أجل حظ من حظوظ الدين، فلا يبالي كأنما وقع على أنه ذهاب قطره ثم أما بعد: فإن الحب الصادق له صلى الله عليه وسلم يتمثل في حقيقته في التزام صفاته صلى الله عليه وسلم في النفس والعمل على سيادتها في المحتسب.

وفي ختام هذا الموضوع نقول إن أبا يزيد مع كونه كان مسهلكا في حب الله ورسوله كان في غاية التواضع وغاية الشكر والامتنان، إنه يقول «ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، وإنما العجب من حبيكي وأنت ملك قدير»

ونضم هذا الحديث بقول أبي يزيد

عرج قلبي إلى السماء، وطاف؛ ورجع، فقلت له: يش جيت معك؟
فقال: المحبة والرضا.

الفصل الحادي عشر

الحجب

وصل أبو يزيد إلى القرب من الله تعالى، وهنا تكشف له أمور بعضها رآها حجباً، وبعضها أنزلها عن قيمتها التي يظن الناس أنها من النفاسة
مكان.

ومن ذلك الزهد، يقول أبو يزيد:

«الديننا للعامة والآخرة للخاصة، فمن أراد أن يكون من الخاصة فلا
يشارك العامة في دنياهم»

وقال:

«إنما جعلت الدنيا مرآة للآخرة، فمن نظر فيها للآخرة سجا، ومن سفل
٤ عن الآخرة أظلمت مرآته وهلك».

وفيل لأبي يزيد: لماذا نلت هذه الدرجة؟ قال.

هناك ٦ مناص من العبادة، ولكن إذا نظر الإنسان إلى العبادة على أنها لله للتقدير فقد أصبحت حجاباً

العباد إذا رضى عن نفسه لأنه صلى مثلاً واعتبر صلاته من الأمور التى تضعه فى مكانة ربيعه، فقد أصبحت صلاته حجاباً، أى أنها وإن سمطت عنه العرض، وأكسبته حسنات فإنها - على لوصع الذى هو عليه لا تؤدي به إلى القرب، واهه سبحانه وتعالى يقول:

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾^(١)
إن النحاة بفضل الله ورحمته.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

ويقول:

«لن يدخل أحدًا عمله الجنة، قالوا: ولأنت يا رسول الله؟ قال

(١) سورة البور: ٢١

ولا أنا، إلا أن يتعمدنى الله برحمته، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنن أحدكم الموت؛ إما محسناً يفعلهُ أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فعلهُ أن يستعقب».

وفى الآثار أنه كان فيمن قبلكم رجل عهد الله خمسمائة عام، وحينما مات وحوسب وانتهى حسابه سمع النداء الإلهى: ادخلوه الجنة بفضل.. واعتقد الرجل أن دخول الجنة بالنسبة له إنما هو عدالة وليس فصلاً، وأعلن ذلك، فسمع النداء من جديد: أعيدوا الحساب.. وأعيد الحساب، ووزنت أعماله كلها فى مدى الخمسمائة عام فى مقابل نعمة البصر، فرجعت نعمة البصر، وبقيت سيئاته مدى الخمسمائة عام فى الميزان، فسمع لنداء الإلهى من جديد: ادخلوه النار بعدلى.. ويعلم الرجل خطأه فيستغيث ويرجو ويتضرع أن يدخله الله الجنة بفضلهِ ولعل ابن سينا يوضح الوضع لعبادة العابدين التى تختلف فى وضعها عن عبادة العارفين، إنه يقول:

«والعبادة عند غير العارف معاملة ما، كأنه يعمل فى الدنيا لأجرة يأخذها فى الآخرة هى: الأجر والثواب».

والعبادة على هذا النسق حجاب عن القرب

والحجاب الثالث: حجاب العلم

العلم اشكلى الذى هو التعمق فى كلام المتكلمين وفى الجدل فى المشابه، العلم النظرى الذى لا يفيد العمل ولا يحفز على التزكية.

وإذا كان الله سبحانه قد مدح العلماء. وإذا كانت مكانة العلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكانة السامية فإنه العلم الذي لا يعرف عن الله، بل يقودنا إلى زيادة معرفة به. والواقع أن العلم سواء كان... أروحيًا إنما هو زيادة معرفة الله لأنه يبين عن آثار صفاته، فبدأ ما يعتد في النفس الكبرياء والخلافة وأصبح العلم في مثل كبرياء إبليس يعلمه فإنه يطرد من رحمة الله.

وإذا أنتج العلم الخشية، فإنه ينتج القرب من الله تعالى: يقول سبحانه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

ويتحدث أبو يزيد عن المحجب، وعن المحجوبين فيقول أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة:

أولهم: الزاهد بزهد.

والثاني: العابد بعبادته.

والثالث: العالم بعلمه.

ثم قال: «مسكين الزاهد، قد أليس زهد، وجرى به في ميدان الزهاد، ولو علم المسكين أن الدنيا كلها سماها الله قليلا، فكم ملك من القليل، وفي كم زهد مما ملك؟ ثم قال:

(١) فاطر، ٢٨

إن الزهد هو الذي يلحظ إليه بلحظة، فيبقى عنده، ثم لا ترجع نظره إلى غيره ولا إلى نفسه.

وأما العابد فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادة أكثر من العبادة حتى تعرف عبادته في المنته...

وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر واحد من اللوح المحفوظ، فكم علم هذا العالم من ذلك السطر، وكم عمل فيما علم؟

ويقول أبو يزيد: ليس للعبد خير من أن يكون أبداً فقيراً ليس معه شيء؛ لا التزهد، ولا التعب، ولا شيء من الأشياء فيعنى عن الجميع، فإذا فنى عن الجميع كان الجميع وردها.

وهناك حجب أخرى

يقول عبيد بن عبد القاهر: قال أبو يزيد البسطامي: «إن الله ليرزق عبده الخلاوة، فمن أجل فرحه بها يمعه من حقائق القرب. والآن تذكر جملة من النصوص لأبي يزيد تزيد وجهة نظره وضوحاً وتشرح رأيه وتبين بعض الفروق بين العارف من جانب، والعابد والزاهد والعالم من جانب آخر.

العارف والعالم:

قال أبو يزيد:

«العارف يلاحظ ربه، والعالم يلاحظ نفسه»

وقال رحمه الله:

«اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعركة
صرفاً فتخلطهم العبادة»

الراهد والعارف:

وقال أبو يزيد:

«العارف همه ما يأمله، والزاهد همه ما يأكله».

وقال:

«الزاهد يقول: كيف أصنع، والعارف يقول: كيف يصنع».

وقال أبو يزيد:

«إن الصادق من الزاهدين إذا رأته هبته، وإذا فارقتك هن عليك أمره،
والعارف إذا رأته هبته، وإذا فارقتك هبته».

الزهد والعبادة والعلم حجباً

وقال أبو يزيد:

«أشد المحجوبين من الله ثلاثة بثلاثة».

الزاهد يزهد، والعاهد يعيادته، والعالم يعلمه

ثم قال عقيب قوله:

«مسكن الزاهد قد تلبس الزهد، وجرى في ميدان الزهاد».

ولو علم قلة الدنيا وفي أي شيء زهد؟ وكم مقدار ما زهد فيه؟ وأين
يقع هو في الدنيا من الزاهدين؟ لما أعجب يزهد!

إن الزاهد الصادق يلحظ ربه فيبقى عنده فلا يرجع بطرفه إلى غيره.

وأما العاهد الصادق: «فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادة أكثر من
العبادة حتى تفرق عيادته في المنة».

وقال عن العارف والزاهد أيضاً:

«أمل الزاهد في الدنيا الكرامات، وفي الآخرة المقامات وأمل العارف في
الدنيا بقاء الإيمان معه، وفي الآخرة العفو».

الفصل الثاني عشر

حِكْمٌ وَوَصَايَا

عن أبي موسى الديلمي قال: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول:
«لذات الدنيا ثلاث: صديق واد، وصحبة ملك جواد، ومحالسة مفيد
ومفاد».

وقال أبو يزيد

«حسب المؤمن من عقله أن يعلم أن باقه غنى عن عمله».

وعن أبي صالح الهذلي مؤذن مسجد أبي يزيد قال:

كان أبو يزيد يقول: هلاك الخلق في شيئين: في ترك الحرمة ونسيان
المنة».

وقال أبو يزيد

الناس بحر عميق، والبهمة عنهم سمينة

وقد نصحتك فاختر لنفسك اسكينة

وقال أبو يزيد:

«طوبى لمن كان همه هماً واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه، وسعت أدياه»

وقال:

«حسب المؤمن أن يعلم أن الله غنى عن عمله».

وقال:

«لا عقوبة أشد من الغفلة، لأن الغفلة عن الله طرفة عين أشد من النار».

وقال:

«من نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم».

وقال أبو يزيد:

«لا يعرف نفسه من صحبتة شهوته».

وقال:

«من اختار الدنيا على الآخرة غلب جهته علمه، وفضوله ذكره، وعصيانته طاعته»

وقال:

«الدنيا لأهلها غرور في غرور، والآخرة لأهلها سرور في سرور، ومحبة الله لأهل محبته نور على نور».

وعن أبي يزيد قال:

«إن في الطاعات من الآفات ما لا يحتاجون معه إلى أن تطلبوا المعاصي».

وعن أبي يزيد قال:

«ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر».

وقال رضي الله عنه:

«قال الله تعالى للكاثر: آمن، وللمنافق أخلص، وللمعاصي ارجع، وللمحبب ارض، وللمعارف أهر».

وقال:

«من نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم وهرب إلى الله عز وجل، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم، وكان طريقاً لهم إليه».

وقال:

«عند نسيان النفس ذكر يارئ النفس».

وسئل: من أين تأكل؟

فقال: مولاي يطعم الكلب والغنم، أفترى أنه لا يحبه أباه يزيد؟

وصل خلف إمام الباطع فلما سلم الإمام قال:

يا أباه يزيد: من أين تأكل؟

قال:

وأصبر حتى أعيد صلاتك فإني شككت في رزق المحزون، ولا تحوز

الصلاة خلف من لا يعرف الرزق»

ودخل الباطع فوقف على حلقة فقيه، فسئل عن رجل مات وحلف كذا،

فأخذ يصيح المسألة وعقرب الأعداء، فصاح به بأفقيه ما تقول فيمن

مات ولم يحلف إلا الله؟

فيكي القوم وأبكوا، فقال:

والعبد لا يحلف، وإذا مات لا يحلف إلا مولاه كما كان أولاً، فإن آخره

يرجع إلى أوله، لأن أوله فرد ومعه الشهادة فإذا كان أسره كانه لم يذبح

إله سواه».

فوقد جئتمونا فرأى كما خلفناكم أول مرة»

وأوصى أبو يزيد رضى الله عنه خادمه أباه موسى فقال:

«وأوصيك بأبيك على ريك أبام حسانك بكليتك، ولا سال عنه وسهك

رسمته يقول:

«يرزق العبد الملاوة، فلترسه به يمينه عن حقائق التريب».

وقال: علامة الإتياء حنة:

«إذا ذكر نفسه افتقر، وإذا ذكر حوبه استغفر، وإذا ذكر الدنيا اعتبر،

وإذا ذكر الآخرة استبشر؛ وإذا ذكر المولى انتمى».

من اختار الآخرة على الدنيا: يقلب سكرته كلامه، ويفره غناه؛ وهمه

سروره؛ وقلبه بحبته؛ وسره قربه، فتصير نفسه مقيدة بقيد الخسمة، وقلبه

أسيراً لحروف الفرقة؛ وسره مستأنساً بأفس الصحبة.

وقال:

«إن الله تعالى أمر المباد ونهاهم، فأطاعوه، ففزع عليهم خلقاً من خلقه،

فتعلموا بالخلق عنه، وإن لا أريد من الله إلا الله».

وعن منصور قال: جاء رجل إلى أبي يزيد فقال: أوصني.

فقال له: انظر إلى السماء، فنظر صاحبه إلى السماء.

فقال له أبو يزيد: أنترى من خلق هذا؟

قال: الله.

قال أبو يزيد

«إن من خلقها لطلع عليه حيث كنت، فأحضره».

وعن عيسى قال: كنت عند أبي يزيد قدس الله روحه فذكر عنده الجاه والنفس.

فقال: يا أبا موسى:

«إن المؤمن بِلانفس». ثم قرأ: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾.

«فمن باع نفسه فكيف تكون له نفس»؟

وسئل: متى يكون الرجل عاملاً على معنى العبودية؟

فقال: إذا لم يكن له إرادة.

ف قيل: كيف يكون ذلك؟

قال: تكون إرادته وتقنيته وشهوته داخلة في محبة ربه، ولا تتقدم له إرادة في شيء أبداً حتى يعلم إرادة الله عز وجل ومحبه فيه.

و وقت، حين مو صيكم يده، و به لا بد من لقائه، و الوقوف بين يديه، و بت مسئول عن جميع أعمالك، فتشعر لذلك، و استعداد لمعدك؛ و لا تفعل، و منه عن رعدة المعنة، و تفيظ من نومة الغافلين، و ألقى كتفك بين يدي سيدك صباحاً و مساءً، و الزم ذكره، و احفظ خدمته، و أحسن ظنك به، و لا تؤثر أحداً عليه، و اصبر على ما أصابك من البلاء، و ارض بحكم الله و قصائه و قدره، و بحسن اختياره لعبده، و افتح بعطية و تقى به، و آمن لموعده، و أيقن بوعده و وعيده، و توكل على الحى الذى لا يموت، و اذكر الله؛ و استعن بالله فى كل أمورك، و احذر منه مادمت حياً، و اهرب من الخلق إليه؛ و عوض أمرك إليه.

و عن ابن الأنبارى يقول:

أراد صاحب لنا أن يسافر، فقال لأبي يزيد: أوصى و صه؟

فقال: أوصيك بثلاث.

إذا صاحبك سئى الخلق فأدخل سوء خلقه فى حسن خلقك حتى يهتك العيش.

و إذا أتم عليك منعم بنعمة فاشكر الله أبداً فإنه هو الذى أعطف بالقلوب عليك

و إذا بدا عليك شيء من بلاء الله فأسرع الاستقالة منه، فإنه شيء لا يعى متصير عليه.

الفصل الثالث عشر

من طرائف أبي يزيد

قال رضى الله عنه: «لو أذن لي في الشفاعة لشفعت أولاً فيمن أذاني وجفاني، ثم فيمن برّني وأكرمني».

وكان يقول: «الطريق تقتضى أن الشيخ لا ينسى أهل زمانه فكيف مريده المختص به؟ فإنه من فتوة شيخ الطريق ومعرفة بالنعوس: أنه إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من جاء عند الله خاف منهم من أذاهم في الدنيا، فأول ما يشفعون فيمن أذاهم».

قال ابن عربي: هذا نصه، وهو مذهبنا فإن الذين أحسنوا إليهم يكفهم عين إحسانهم، فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدموه في حق ذلك الولي:

وقال - الناس يفرون من الحساب وأنا أتمناه لعله يقول لي: يا عبي، فأقول لبيك، ثم بعد ذلك يفعل بي ما شاء».

وقال له: «علمي الاسم الا اعظم؟ قال: ليس به حد محدود، وإنما هو فراع قلبك له حدانيتها، فإذا دلت كذلك فارجع إلى أي اسم تسيّر به من المشركين المشرقين»

وسئل عن: «الله الأعظم فقال: قل لا إله إلا الله وأنت هناك ثابت؛ فقيل له: كم؟ قال: نمره إذا ذكرته

ويبلغنا أنه قال له: أنت من أسأ؟

قال: أما الليل، ومن ليل، أما

وسئل ما به العار؟

فقال: «إلا اللوك إذا دخلوا مربة أسدوها، وجعلوا أعره أهلها أدلة»

وقيل له: ارمسى العارف؟ فقال

«وكان أمر الله قدرًا مقدورًا»

وقال ابن عربي: وهذا غاية في التأسب حيث لم يقل نعم، ولا لا. وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه، وصبره، الله عنه.

وقال له ربه: «علي عسر أتقرب به إلى الله؟

قال: أحب أدبه، ليحبوك فيه، رخص في قلوبهم، فلهذه ينظر إلى اسمك في قلب وليه، رخصت

وسمعه يقول:

رددت أن اقو تعالى جعل الدنيا لقمة واحدة، فأعطانيها حتى أيسد بين يدي كلب. حتى لا يفتر به الخلق، ولو عذبني في نار جهنم مكار خلق جميعًا لما كان مني بكبير بما ادعيت أن أحبه، ولو غفر لجميع الخلق، كان منه بكبير حيث قال:

«إني على الخلق رهوف رحيم».

وقال: ما دام العبد يظن في أسلمين من هو شر منه فهو مكبر.

وسئل متى يكون الرجل متواضعًا؟

فقال إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالًا، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه

وقال: سمعت المتقدمين قالوا:

إن ليلة من الليالي بكى صبي لمجوس في جواره، ولم يكر، معهم السراج، فرفع السراج إلى كوتهم حتى سكت صبيهم، فأرأوا شفقتهم معالت أم الصبي لأبيه.

- وقد غاب حين بكائه - لما حضر: ألا ترى إلى شفقة ابن مسمى سروسار، وقد فعل مثل هذا؟

فمجب من شفقتهم، ودعت بركة شفقتهم عليهم أن أسلموا عن أمرهم.

ومن طرائفه في الورع أنه:

بعد الجامع يوم الجمعة للصلاة وقد جاء المطر من قبل، وكان وجلاً،
هرقت رجله، فاستند إلى جدار حائط، فأمسك نفسه بسببه، ويبدو أن
بعض التراب من الحائط قد تفتت.

فلما ثبت تفكر في ذلك وقال في نفسه: تفحصي عن صاحب الجدار
ليجعلنى في حل مما تعاطيت وقصلت خير لى من أن أمضى إلى المسجد فإن
ذلك لا يفوتنى، ففى الوقت سعة، فانصرف وتعرف عن صاحب الجدار،
فقيل: مجوسى، فتقدم إلى باب داره وناداه. فخرج إليه فأخبره بالقصة
وطالبه أن يجعله في حل من ذلك

فقال المجوسى: ولكم في دينكم الدقة وكل هذا الاحتياط؟

أمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم آمن وآمن كل من في
داره ببركة ذلك الفعل.

وقال محمد بن أحمد المذكى: حكنا أن أبا يزيد رضى الله عنه بكه أن
فلاناً المجوسى جاره قد مرض، فدخل عليه عائداً، فلما بهر المجوسى
بأبى يزيد فأزال رأسه من فراشه، ووضع حده على التراب نظيفاً واحللاً لا
لأبى يزيد.

قال: فلبث ساعة، ثم قام منصرفاً، فلما توسط الدار رفع أبو يزيد طرفه
إلى السماء كأنه سأله فيه، لما بلغ الدهليز إذا ببعض أولاد المجوسى جاء

على إثر أبى يزيد بقول: إن أبى يقول

بحق الله عليك لا انصرفت، فما انصرف، فقال:

«يا أبا يزيد، أعرض عن الإسلام، فعرض عليه فأسلم، وقضى
المجوسى مكانه، فقام أبو يزيد بأمره حتى دفنه».

وقال أبو موسى الديبلى: سمعت رجلاً يسأل أبا يزيد فقال:

دلى على عمل أنتقرب به إلى ربى؟

قال: أحب أولياء الله ليحبوك، فإن الله تبارك وتعالى ينظر إلى قلوب
أوليائه في كل يوم وليلة سبعين مرة، فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه
فيغفر لك

وعن الحسن بن على يقول قال أبو يزيد:

المعرفة في ذات الحق جهل، والعمل في حقيقة المعرفة جنابة، والإشارة
من المشير شرك في الإشارة.

وكان رضى الله عنه إذا رأى الناس يتمسحون بمرقعته تبركا فلاموه على
ذلك، فقال:

هم لا يتبركون بي إنما يتبركون بخلمة ربي التي خلعتها على

وسئل أبو زيد فقيل له:

إن الناس يقولون: إن شهادة أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟

قال. صدقوا، ولكن لا يفتح المفتاح بغير أسنان، وأسنان مفتاح الجنة
أربعة أشياء:

لسان بغير كذب ولا غيبة، وقلب بغير مكر ولا خيانة، وبطن بغير حرم
ولا شبهة، وعمل بغير هوى ولا بدعة.

الفصل الرابع عشر

الكرامات

سبق أن كتبنا عن الكرامات ما يلي

١ - أن القرآن الكريم يحدثنا في أسلوب لا ليس فيه عن المعجزات
التي تفضل الله بها على رسله وأنبيائه.

ويحدثنا سبحانه عن الكرامات التي منحها سبحانه لأوليائه وأصفياه.
ألم يحدثنا القرآن بصورة لا تحتل التأويل بأن عيسى عليه السلام كان
يخلق من الطين كهينة الطير فيسمح فيه فيكون طيراً يودن الله، وأنه يرى
الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله؟ ألم يحدثنا عن سيدنا موسى بأنه
ألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون وبأنه أخرج يده فإذا هي بيضاء
للناظرين؟ وسددتنا مريم ألم تحمل بسيدنا عيسى من غير أب حارقه بذلك
هوايين الطبيعة، وكانت كما دخل عندها ركبوا المحرب ووجد عندها رزقاً.
قال يا مريم أفي لك هذا؟

قالت هو من عند الله!

٢ - ثم إن ما نسميه قوانين الطبيعة إنما هو في الواقع «عادات» الطبيعة.

وخرقها ليس بمستحيل عقلا

وخرقها لا يترتب عليه مستحيل!

وعادات الطبيعة لا تسيطر على رب الطبيعة!

٣ - ثم إن هؤلاء الذين تجرى على أيديهم المعجزات أو الكرامات لا ينسبونها إلى أنفسهم، وإنما ينسبونها إلى المتفضل الوهاب صاحب العدة والقهر، إنهم ينسبونها إلى من هو على كل شيء قدير!

٤ - والملاحظ في منكري الكرامات على مر العصور أنهم يتميزون بألوان من الغلظة وقساوة القلب فلا تجد فيهم رقة شعور ولا صفاء البصيرة، ولا ملائكية الروح وهم - إن لم يكونوا من الملاحدة - من الصنف الذي لم يخالف الاعاءد شفاف قلما، إنما بقى صورة حائمة على السطح.

٥ - جمهرة المسلمين على مر العصور، عامتهم، وخاصتهم وقمهم الشوامخ في العلم والدين من الذين يثبتون الكرامات ويؤمنون بها هذا عن الكرامة عادة من حيث حدوثها ووقوعها

وتحدث أبو يزيد عن الكرامات من حيث تصدر من أسبأ الله سبحانه فيقول:

حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسبأ، لأول، والآخر، والظاهر، والباطن - وكل فريق له منها اسم، فمن فنى عنها بعد ملابتها فهو لكامل التام!

فأصحاب اسمه الظاهر يلاحظون عجائب قدرته!

وأصحاب اسمه الباطن يلاحظون ما يجري في السرائر!

وأصحاب اسمه الأول شغلهم بما سبق!

وأصحاب اسمه الآخر متربصون بما يستقبلهم!

فكل يكاشف على قدر طاقته إلا من تولى الحق تعالى تدبيره! وقال أبو موسى الديلمي:

سأل رجل أبا يزيد عن المشى في الهواء فقال:

«إذا طابت نفس الرجل بقلبه مطرت قلبه بمسح ظنه بربه وضح ظنه بارادته، واتصلت بمشيئة خالقه قضاء بمشيئة الله ونظر بموافقة الله، وترفع قلبه برفعة الله، وتحركت نفسه بحركة الله، وصرار حيثما شاء هذا العبد بمشيئة الله تعالى، ونزل حيث شاء الله في كل مكان علما وقدره، فهذا العبد كان معه في كل مكان، ولا يخلو عنه مكان، فإذا كان هذا العبد مع الله فلا

الليلة ير في الهواء، المزمع أشرف من طير:

وليس الكرامات بعجبة، إنما العجيب شيء آخر أسوس من الكرامات، يقول أبو يزيد:

وكم من خلق الله عيش على الماء وفي الهواء وليس عند الله كبير مقدار،
وليس ذلك بعجبة؛ إنما العجيب أسرار قلوب أربابته التي لم يطلع عليها
أحد الملائكة! ١

قال الحسن بن علي بن خرق أبو يزيد لزبارة أخ له يبلغ فلما وصل إلى
نجر جيحون - يعني بعد قصده الرجل الذي سكن - بلغ وراءه بلخ -
التي به حاقنا النهر فقال:

وسيدى! - أيش هذا المكر الملقى؟ وعزتك يا عزيزى ما عديتك لهذا
وعزتك ما اردت هذاه ثم رجع ولم يهرأ

وقد وصل أبو يزيد البسطامي ليلة فاضاه البيت كأنه تصف النهار فقال
أبو يزيد: وإن كنت شيطاناً فأنا أعز وأمنع جانياً من أن تطلع في . وإن
كان من عند الله فإني أسأله أن يوحىه من دهر الهدمة إلى محل الكرامة.
ومن ذلك: أن أبا يزيد بلغ دجلة بهذاه، فانقضت الدجلة بعضها إلى
بعض كرامة له، فجلس أبو يزيد وقال:

وإنا أهل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر يدانتي رأى أن مع
ثلاثين سنة في هذا الهدية بدانتي!

عزل عنه مكانه، وإذا لم يكن مع الله فليس هو في مكان... نفس الرجل
متصل بطلبه

وطلبه متصل بطلبه، وطلبه متصل بآرادته، وآرادته متصلة بعيشة الله
تعالى... قال الله تعالى في حديث قدسي: وأنا عند ظن عبي في... فإذا
كان الله عند ظن العبد إذا ظن، فكان العبد حينها كان الله، كما أن الله
لا يخلو عن العبد حيث كان العبد، كذلك العبد لا يخلو عن الله بالله حيثما
كان الله... الله لا يخلو عن مكان دون مكان، فإذا صح حسن ظن العبد
بالله وقع ظنه بربه، وقلبه بطلبه، ونفسه بطلبه فصار من حيث يشاء إلى حيث
يشاء بعيشة الله، وأنيبه كل شيء هو على مكانه بلا عناء، بأنيبه المشرق
والمغرب كله، فكما ظن بكان فإمكان يحضره وهو لا يحضر المكان إذ هو
لا يزول ثم لا يزول، إذ هو مع من لم يزول ولا يزال؛ إذ هو من هو لم يزول
ولا يزال، فأنه ذلك... تتمه لأشياء ولا يتبع شيئاً إنما الأشياء كلها كانت
من الله... ولكن أبا يزيد إذا كان قد عمل الكرامات وسرها فإنه لا يعبأ
بها؛ بل يقول من شأنها بل يعمل به الأمر إلى التصديق منها إذ يقول:
والأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التي هي عين الكرامات كالشي
على الماء والهواء، وطقن الأرض، وركوب السماء، فإن أدعية الكفار نجابه،
والأرض تطوى للشياطين والدجال، والهواء مسخر للطير، والماء للحوت،
فمن أتمه عليه ونسيه منها فلا يأمن المكره.

وقال له رجل: يلقى أنك ترق الهواء، فقال: أرى عجب منه؛ طير يأكل

خاتمة

في تقدير أبي يزيد

إن كبار الصوفية قدروا أبا يزيد تقديرًا كبيرًا، وأضفوا عليه مستثنين إلى سيرة - صفات سامية سواء أكان ذلك من ناحية سلوكه، أم كان من ناحية آرائه وأفكاره، وكلهم أقرروا باستنراقه في التصور الرباني، وتذكرنا هنا بعض كلامهم في ذلك، يقول صاحب العلية:

و منهم الخاتمة الوحيد، الملائم الفريد، البسطامي أبو يزيد: تاه فضايه وهلم قائب، غاب عن المحذورات إلى موجد المحسوسات والمعدومات؛ فارتق الخلق، ورائق الخلق فأيد بإخلاء السر، وأمد بأسبغلاء الرب، إشاراته هائلة وعباراته كاملة، لها زيتها ضامته، ولذكرها فائتة.

ويقول صاحب الكواكب اللرية:

«أضهر من أن يتذكر، وأعرف من أن يعرف . كان فائزًا وساجه حالًا وأفتانًا وورعًا وعلما وزهدًا وانقاء وإيمانًا ونابعيك يقول الخوانق:

يعني: إلى لا توقع منك شيئًا آخر دون الكرامة لأرض منك بغيرك!

ماذا كان يريد أبو يزيد؟

إنه يقول: «أوقفني الخلق بين يديه موافق في كلها يمرض على الملكة

يقول: أريد النصف؟ قلت لا.

قال: الطرف؟ قلت لا. قال: الطرف؟ قلت: لا.

قال ما تريد؟

قلت أريد ألا أريد فإني المراد وأنا المريد.

قال ل: أنت عبيد حقا!

عليه وسلم، وإنما رأى هـ يتيم أبي طالبه ولو رأى - صل الله عليه وسلم - لم تحرقه النار.

ففهم السلطان كلامه، وأصبح هذا الجواب منه... أرى أنه لم يره بالنظم والإكرام والأسوة، واعتقاد أنه رسول الله، ولو رأى بهذا المعنى لم تحرقه النار.

والمعنى الذي أراه أبو يزيد بقوله: «من زارني لا تحرقه النار» واضح كل الوضوح وذلك أن أبا يزيد يقول: «إن من تقصى آثارى، وعمل على حسب مارسنته، واتبع السبيل الذي سرت فيه ودفنه لطب لزيارتي فإن النار لا تحرقه».

والمعنى الذي أراه أبو يزيد أيضًا من وراء ذلك، أنه سار في حياته بحسب الكتاب والسنة، وأسس سلوكه وأقواله، حتى هدى القرآن والسنة وأنه اعتقد رسول الله صل الله عليه وسلم قدوة وأسوة في السلوك والأحوال، وأن كل من سار على ذلك فهو بمنزل الله في رحمة الله، وفي رضوانه، ومن كان كذلك لا تحرقه النار..

وتسلك هـ أبو يزيد بالكتاب والسنة معروف مشهور، ومن بيان ذلك: أنه قال مرة لأحد جلسائه: «قم بنا حتى نتظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية» وكان رجلاً مشهوراً بالزهد...

يقول رفیق أبي يزيد: ففضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد،

هو سلطان المازنية؛ وكان ابن عربي يسميه: أبا يزيد الأكبر ولقد تحدث عنه الإمام ابن عربي كثيراً في كتبه ومن ذلك قوله:

ومن الأقطاب من يكون ظاهراً عليكم ويحوز الملاحة الظاهرة كما حاز الباطنة من جهة المقام كابي بكر، وعمر وعثمان وعمل وعمر ابن عبد العزيز.

وممن من له الملاحة الباطنة خاصة ولاحكم له في الظاهر، كابي يزيد انتهى..

أما التقدير الذي نحب أن نختم به فهو ما يلي:

يرى ابن عطاء الله السكندري في شرحه لتفسيره قول الله أبي مدنيته القصة التالية:

زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد - رضي الله عنه - وقال: هل هنا أحد من اجتمع بأبي يزيد؟

فأشير إلى شيخ كبير في السن، كان حاضراً هناك...

فقال له سمعت شيئاً من كلام أبي يزيد؟ فقال نعم، سمعته قال:

«من زارني لا تحرقه النار» فاستغرب السلطان ذلك الكلام، فقال: كيف يقول أبو يزيد ذلك، وأبو جهل رأى النبي صل الله عليه وسلم، وتحرقه النار؟ فقال ذلك الشيخ للسلطان: «أبو جهل لم ير النبي صل الله

رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال:
«هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه».

إن «أبا يزيد» لم يكن يحتمل أن يخالف إنسان أدباً من آداب رسول
الله، صلى الله عليه وسلم.

ومن المعروف: أن الصوفية يتخذون مثلهم الأعلى وأسوتهم الحسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم يتحرون جميع أمورهم - السير منها
والعظيم - ليسيروا على هديه، ويتبعوا سنته في جميع أحواله.

ويضع «أبو يزيد» للمريدين والسالكين مقياساً دقيقاً لمعرفة الشيخ، إنه
يقول:

«لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات، حتى يرتقى في الهواء فلا
تفتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء
الشريعة».

وقال أبو يزيد:
«لا يكون العبد عاملاً على معنى العبودية، حتى تكون إرادته وأمنيته
وشهوته تابعة لمحبة الله».

هذا التمسك من «أبي يزيد» بالشريعة هو الذي جعل منه إماماً وعلماً
من أعلام السلوك الإسلامي، وجعله يقول:

«من زارني لا تحرقه النار».

وكأنه به يقول:

إن من اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله له النجاة،
وإن اقتديت بسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو الناس جميعاً
إلى الاقتداء به ليكتب الله لهم النجاة.

والحمد لله أولاً وأخيراً وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم.

محتويات الكتاب

صفحة		
٧ :	المقدمة
١٣ حياة أبو يزيد :	الفصل الأول
٣٦ أبو يزيد والعلم :	الفصل الثاني
٤٩ أبو يزيد والتزام الشريعة :	الفصل الثالث
٥٩ أبو يزيد والشطح :	الفصل الرابع
٦٣ أبو يزيد العابد :	الفصل الخامس
٦٩ أبو يزيد والجهاد في سبيل الله :	الفصل السادس
٨٥ الوصول :	الفصل السابع
١٠١ أبو يزيد والتصوف :	الفصل الثامن
١١٩ الصوفية والتوكل على الله :	الفصل التاسع
١٣١ أبو يزيد والحب :	الفصل العاشر
١٣٩ الحجب :	الفصل الحادى عشر
١٤٩ حكم ووسايا :	الفصل الثانى عشر
١٥٧ من طرائف أبى يزيد :	الفصل الثالث عشر
١٦٣ الكرامات :	الفصل الرابع عشر
١٦٩ فى تقدير أبى يزيد :	خاتمة
١٧٤ :	المراجع

المراجع

المناوى	:الكواكب الدرية.
الشعرانى	:الطبقات الكبرى.
السراج	:اللمع.
السلمى	:طبقات الصوفية، القاهرة سنة ١١٥٣، ص ٦٧-٧٤.
أبو نعيم	:حلية الأولياء جـ ١٠ ص ٣٣ - ٤٢.
القشبرى	:الرسالة.
المجوبرى	:كشف المحجوب.
عبد الرحمن بدوى	:شطحيات الصوفية (١) أبو يزيد البسطامى، القاهرة سنة ١٩٤٩.
ابن الجوزى	:تليس إبليس.
ابن خلكان	:دائرة المعارف الإسلامية. طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ ج١ ص ٣٢٩.

AL-MOSTAFAA.COM